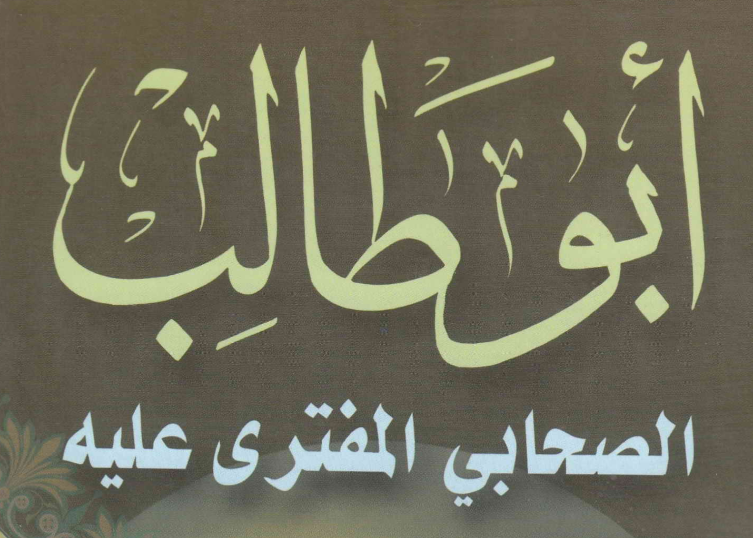


أبو طالب

الصحابي المفترى عليه

عبد الزهراء عثمان محمد

دار الهادي

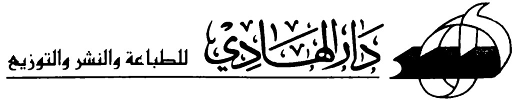
أبو طالب ..

الصحابي المفترى عليه

الطّبعَة الأولى

١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م





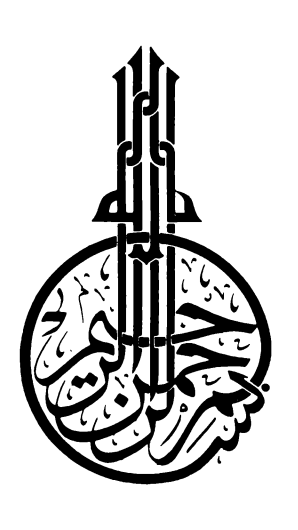
هاتف: ٥٥٠٤٨٧/ ٠١ ـ ٨٩٦٣٢٩/ ٠٣ ـ فاكس: ٥٤١١٩٩ ـ ص.ب: ٢٨٦/ ٢٥ غبيري ـ بيروت ـ لبنان
Tel.:03/896329 - 01/550487 - Fax: 541199- P. O. Box: 286/25 Ghobeiry - Beirut - Lebanon
E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

أبو طالب ..
الصحابي المفترى عليه

بقلم

عبدالزهراء عثمان محمد





هوية الكتاب

اسم الكتاب: أبو طالب .. الصحابي المفترىٰ عليه
تأليف: عبدالزهراء عثمان محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

اليك يا رسول الله

اليك ايها القائل: «أَمَ والله لأشفعنَّ لعمّي شفاعةً

يعجب بها أهل الثقلين».

اقدم هذه الاوراق المفعمة بتبجيل عمك ابي طالب (عليه

السلام)، والحاملة للبعض

من فضائله الجليلة.

المؤلف

١٤١٥ هـ. ق

مدخل

لا يكاد التاريخ ولا المؤرخون ان يحددوا الزمن الّذي دخـلت فـيه الاوثان إلى مكة المكرمة حتّىٰ زحفت بظلها الاسود على الكعبة المشرفة ليتربع بعضها علىٰ سطحها.(١)

كماان احداً من المؤرخين لم يؤرخ لبداية الزحف المادي الهابط على العقلية العربية في مكة وما حولها، التي فـتح مـغاليقها عـلى الحـنيفية السمحاء شيخ الانبياء ابراهيم الخليل، وولده اسماعيل عليهما السلام اللذان رفـعا قواعد البيت الحرام في عصر مبكر من مسيرة «ام القرى» نحو الله عـز وجل.

علىٰ ان بعض المؤرخين يذكرون ان عمرو بن لحي زعيم خزاعة هو الّذي سود صفحات تاريخ مكة بكفره وردته حين نقض عرى الحنيفية وخرب المشروع الرباني الذي حمله ودعا إليه ابراهيم واسـماعيل عليهما السلام وذلك بعد وفاة اسماعيل النبي عليه السلام بسنين عديدة، فذهبت جهوده الكبيرة العاملة علىٰ نشر الاسلام في اليمن والجزيرة العربية ادراج الرياح بعد ان عمل عمرو بن لحي وسعه من اجل ان يغيّر الحنيفية البيضاء، حيث دعا

---

١ - تاريخ ابن خلدون مجلد ٢ ص ٦٨٨.

عمرو هذا إلى الوثنية[1] ونصب الاصنام في مكة، واستورد «هبل» من بلاد الشام، علىٰ ان هذه الانتكاسة لا تمثل البداية قطعاً، فلا بد من بداية علىٰ هذه الطريق، حتّىٰ وصلت الامور إلىٰ ظهور الوثنية التـي تشكـل انتكاسة رهيبة في الفكر الانساني، وعودة إلى الوراء في المسيرة العقلية التي يفترض فيها ان تشـق طـريقها إلىٰ الله عـز وجـل، وتـقترب إليـه باستمرار..

غير ان الحنيفية البيضاء رغم عواصف الوثنية السوداء ظلت راسخة في صدور ورثة الحق من اولاد اسماعيل وابيه الخليل عليهما السلام يـتمسكون بلبابها، ويشعون علىٰ من حولهم من نورها كلما سنحت لهـم الفـرص، وتوفرت لهم الظروف ..

وكان في طليعة حلقات هذه السلسلة النقية المباركة المترابطة: قصي، وهاشم، وعبدالمطلب، وابو طالب «رضوان الله وسلامه عليهم اجمعين» ..

فلو سرح المرء طرفه في حوادث التاريخ منذ وفـاة اسـماعيل عليه السلام ودفنه في الحِجر، وما ازدحمت به مكة من مخاضات وصراعات لالتقى مع ارقام حية مثيرة كلها تحكي قصة هذا الوادي المقدس، ومن حـمل هدى الحنيفية فيه من اجداد النبي الخاتم وآبائه عليهم السلام، الامر الّذي صدع به رسول الله صلى الله عليه وآله، امام اصحابه، وهو بصدد تبيان هذه الحـقيقة التـاريخية الناصعة بين ايدي الاجيال التي تنتمي لهـذه الرسـالة، وتـتمسك بـخط ابراهيم النبي عليه السلام، وتندمج بطريقته..

تحدث رسول الله صلى الله عليه وآله حول هذه السلسلة المتصلة الحلقات، فقال:

١- تاريخ ابن خلدون مجلد ٢ ص ٦٨٨.

«لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين إلىٰ ارحام الطاهرات حتّىٰ أُسْكِنتُ في صلب عبدالله ورحم آمنة بنت وهب».(١)

وهذا الحديث الشريف وامثاله كثيرة يشير إلىٰ مدلول قوله تعالى: «الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين» (الشعراء٢١٨ ـ ٢١٩).

فان تقلب النبي ﷺ في الساجدين يعني تنقله في اصلاب الموحدين(٢) من آدم عليه السلام إلىٰ عبدالله بن عبدالمطلب، كما يقرر علماء التفسير، اذ لا يصلح المشرك بعد الحكم بنجاسته علىٰ الاطلاق ان يكون وعاءً لحمل نطفة الطاهر المطهر الرسول الخاتم ﷺ.

ومن هنا، فانه رغم حملات التزييف التي حلت بساحة السنة الشريفة والسيرة والتاريخ بشكل مفجع. الا اننا لا زلنا نملك وثائق غاية في الاهمية والقوة تتّقد تحت ركام التضليل وغيوم التزييف الداكنة تشير إلىٰ عظمة حلقات السلسلة الربانية الممتدة في عمق الخير والهدى والنور ما بين محمد رسول الله ﷺ وابيه آدم عليه السلام ..

ولنقرأ هذه المفردات ولنتأمل بمداليلها جيدا لنرى سلامة هذا الخط المبارك، وطهارته وطيب منبته.

يقول ابن ابي الحديد المعتزلي حول هذه الحقيقة الممتدة الجذور ما

١- الحجة على الذّاهب إلىٰ تكفير ابي طالب للامام شمس الدين ابي علي فخار بن معد الموسوي المتوفي ٦٣٠ هـ ط ١ قم ص٥٦، وينابيع المودة للحافظ سليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي ص ١١، وما بعدها.

٢- تصحيح الاعتقاد للشيخ المفيد «رض»: ١٣٩.

يلي: «واما الذين ليسوا بمعطلة من العرب فالقليل منهم، وهم المتألهون اصحاب التورع، والتحرج عن القبائح كعبدالله، وعبدالمطلب، وابنه ابي طالب ..».[١]

وتعال للواقع المجسد لنقرأ ـ مثلا ـ في سيرة قصي بن كلاب ـ احد اجداد النبي ﷺ ـ هذه الكلمات ضمن قائمة طويلة من البر والاستقامة والصلاح والمعروف، فهو يخاطب قومه بخصوص اهمية رعاية البيت الحرام وحجيجه: «**انكم جيران الله، واهل بيته، وان الحاج ضيف الله وزوار بيته، وهم احق الضيف بالكرامة، فاجعلوا لهم طعاماً وشراباً ايام الحج**»[٢] **ففعلوا حيث سن قصي لقريش سنة اخراج نصيب من اموالهم كل عام لأطعام الحجيج في منى، فجرت هذه السنة في ايام العرب قبل الاسلام، ومضت بعد الاسلام طوال عهود الخلفاء المسلمين ..»**

وقد بلغ قصي من استقامته وسمو اخلاقه الابراهيمية ان ملّكه الناس امرهم، وهو اول قرشي ملك امر الناس قبل الاسلام، فكانت إليه الحجابة والسقاية، والرفادة، والندوة واللواء[٣] حتّىٰ انه حاز شرف قريش كله، واصبح عنوان المجد والعزة فيها ..

١- شرح نهج البلاغة: ج ١ ص ١٢٠ ط احياء الكتب العربية.

٢- الكامل لابن الاثير ج ٢ ص ٢١.

٣- الحجابة: سدانة البيت اي تولي مفاتيحه. والسقاية: اسقاء الحجيج الماء العذب الذي كان عزيزاً بمكة. والرفادة: اطعام الحجاج جميعا. والندوة: رئاسة الاجتماع كل ايام العام، واللواء: راية يلوونها على رمح وينصبونها علامة للعسكر اذا توجهوا الى عدو. والقيادة: امارة الجيش اذا خرجوا الى حرب.

ولقد اجرى هذا السيد الكبير اصلاحات غاية في الاهمية في مكـة، وما حولها. فقد قسم مكة ارباعا بين الناس، وامرهم باقامة الدور حول البيت، ولما استأذنوه بقطع الاشجار اصدر امره بمنع قطع الاشجار مطلقاً رعاية منه لحرمة الحرم ..

ولقد صار هذا الرجل عند قـريش عـنوانـاً للـخير والبـركة والعـزة والقدس، ومن مظاهر تقديس قريش لقصي «رض» انه «ما تنكح امرأة ولا رجل الا في داره، ولا يتشاورون في امر ينزل بهم إلّا في داره، ولا يعقدون لواء للحرب الا في داره، يعقده بعض ولده، وما تدرّع جارية اذا بلغت ان تدرّع الا في داره، وكان امره في قومه كالدين المتّبع في حياته وبعد موته فاتخذ دار الندوة وبابها في المسجد، وفيها كانت قريش تقضي امورها»[1].

---

١ – الكامل لابن الاثير: ج ٢ ص ٢١.

سيد البطحاءِ
نموذج آخر لطهر الأجداد

ومن بعض ما حفظ التاريخ من خصائص ومناقب عبدالمطلب بن هاشم جد رسول الله «ص» هذه اللوحات المشرقة بالعمل الصالح، المعبرة عن صلة خاصة بالله عز وجل، مما جعل بعض العلماء يقطع بأن عبدالمطلب عليه السلام كان حجة لله تعالىٰ علىٰ قومه[١]، ورث دين جده ابراهيم وابيه اسماعيل «عليهما الصلاة والسلام»، وكان المجدد لآثارهما والامتداد لوجودهما.

فمما اشرقت به صفحات التاريخ البشري من مآثر خلدها الزمان لشيبة الحمد (عبدالمطلب) ما يلي:

فقد سن اشياء امضاها له الاسلام:

«حرم نساء الآباء علىٰ الابناء

ووجد كنزاً أخرج خمسه وتصدق به

وسنّ في القتل مائة من الابل

ولم يكن للطواف عدد عند قريش فسنّه سبعة اشواط

وقطع يد السارق

وحرم الخمر والزنا

وان لا يطوف بالبيت عريان

ولا يستقسم بالازلام،

١- الاعتقادات للشيخ الصدوق: ١١٠.

ولا يأكل ما ذبح على النُصُب».(١)

ومن اقواله المأثورة: الظلوم لن يخرج من الدنيا حتّىٰ ينتقم منه وان وراء هذه الدار داراً يجزى فيها المحسن بأحسانه والمسيء باساءته واذا لم تصب المظلوم في الدنيا عقوبة فهي معدة له في الآخرة».(٢)

وقيل له: «الفياض» لكثرة جوده ونائله حتّىٰ ان مائدته يأكل منها الراكب ثم ترفع إلىٰ جبل ابي قبيس لتأكل منها الطير والوحوش.(٣)

ولقد اخبر ابو طالب رسول الله ﷺ فقال: كان ابي يقرأ الكتب جميعاً وقال: ان من صلبي نبياً لوددت انـي ادركت ذلك الزمان فآمنت به فمن ادركه من ولدي فليؤمن به.(٤)

وقال امير المؤمنين عليه السلام: والله ما عبد ابي ولا جدي عبدالمطلب ولا عبد مناف ولا هاشم صنما وانما كانوا يعبدون الله ويصلون إلى البيت علىٰ دين ابراهيم متمسكين به.(٥)

١- الخصال للصدوق والسيرة الحلبية: ج ١ ص ٥.

٢- السيرة الحلبية: ج ١ ص ١٢.

٣- نفس المصدر: ص ٤.

٤- بحار الانوار: ج٩ ص ٣١.

٥- اكمال الدين للصدوق: ص ١٠٤.

إلى زمزم من جديد

كانت «زمزم» قد تفجر ماؤها النمير الرقراق ببركة اسماعيلٰ وامه هاجر عليهما السلام في يوم ولادة اسماعيل عليه السلام في ذلك الوادي المقدس الّذي جعله الله تعالىٰ مثابة للعباد وأمناً.

وهذا البئر المبارك قد مرت به سنون عجاف، حيث جهل امره وحقه ممن بطرت معيشتهم من عرب الجاهلية مما تسبب في نسيان قيمة هذه البئر في بعدها الروحي وفي بعدها المادي حتّىٰ بلغ من نسيان قيمة هذه البئر ان تغافل الناس عن انهم في واد غير ذي زرع، فعمد احد رجالات «جرهم» واسمه مضاض بن عمرو بن الحارث إلىٰ دفنها، واعفاء التراب عليها بعد ان نشب الخلاف بين جرهم وخزاعة على المناصب والمواقع في البلد الحرام، واحتلت خزاعة البلد الحرام.

وهكذا حرم الناس عشرات من السنين من هذا النبع الخصيب الّذي تفجر باعجاز الهي ذي حكمة بالغة، حتّىٰ اذا آل امر الناس إلىٰ شيبة الحمد (عبدالمطلب بن هاشم) عليه السلام، آن الاوان ان تتفجر «زمزم» على الظمأى، الذين يؤمون بيت الله عز وجل، ويحلون ضيوفاً عنده.

وتحدثنا روايات التاريخ الصحيح ان عبدالمطلب عليه السلام بينما كان نائما في حجر جده اسماعيل عليه السلام اتاه آت، فقال له: **احفر طيبة**.[1]

قلت: وما طيبة؟ قال: ثم ذهب، فرجعت الغد إلى مضجعي

١- الكامل لابن الاثير الجزري: ج٢ ص١٢.

فنمت فيه، فجاءني فقال: احفر برّة، قال:

قلت: وما برّة؟ قال: ثم ذهب عني، فلما كان الغد رجعت الى مضجعي، فنمت فيه، فجاءني.

فقال: احفر المضنونة.

قلت: وما المضنونة؟ فذهب عني، فلما كان الغد رجعت الى مضجعي، فنمت فيه، فجاءني، فقال:

احفر زمزم، انك ان حفرتها لا تندم.

فقلت: وما زمزم؟

قال: تراث من ابيك الاعظم، لا تنزف ابداً ولا تذم، تسقي الحجيج الاعظم، مثل نعام حافل لم يقسم، ينذر فيها ناذر لمنعم، يكون ميراثاً وعقداً محكم، ليس كبعض ما قد تعلم، وهي بين الفرث والدم، عند نقرة الغراب الاعصم، عند قرية النمل».

وبعده هذه الرؤيا الصادقة يغدو شيخ البطحاء ومعه ولده الحارث ليعيد زمزم إلىٰ ما هي عليه وبدا معوله المبارك يعمل في الارض طبق المواصفات التي رآها في نومه «بين الفرث والدم .. عند قرية النمل» حيث وجد غراباً ينقر فعلاً في الموضع كما تحدثت الرؤيا الكريمة ..

وما هي الّا ساعة من الجهد الّذي بذله ذلك الشيخ الابراهيمي الوقور وولده اليافع، حتّىٰ علا صوت الشيخ بالتكبير «الله اكبر، الله اكبر»، ها هو

ميراث اسماعيل عليه السلام ها هو ماء زمزم يتفجر من جديد، رقراقاً عذباً في ذلك الوادي الاجرد الّذي شبع موتا لحرمانه من «زمزم» وريها الخصيب..

وحيث تحول الشك عند قريش إلىٰ يقين جاءت إليه تهرول والاصوات تتعالى: إنّها بئر أبينا اسماعيل، وان لنا فيها حقاً فأشركنا معك!!

ولكن الشيخ المبارك صمَّم علىٰ ان يلي سقاية الناس بنفسه فلم يشركهم فيه، وهو صاحب السقاية والرفادة دونهم ـ كما يعلمون ـ ؟

واشتد لجاج قريش، وتحول الامر إلىٰ حجاج ومخاصمة، فقال شيخ البطحاء: اجعلوا بيني وبينكم من شئتم حكماً فساقتهم عقولهم الواهنة ان يجلعوا «كاهنة» بني سعد بن هذيل في مشارف الشام حكماً بين الخصمين.

فرضي الرجل الحكيم علىٰ مضض درءا للفتنة، وقطعاً للنزاع!

الله يحكم لشيخ البطحاءِ

وركب الممثلون عن الخصمين: عبدالمطلب يصحبه نفر من بني عبدمناف، وركب من كل قبيلة من قريش نفر، وفي تلك الصحراء المجدبة الوسيعة نفذ ماء عبدالمطلب واصحابه، فطلبوا الماء من خصمهم فلم يسقوهم، وكاد الشيخ الجواد ان تحل به الهلكة عطشاً وقريش لم تعبأ بما تراه من حاجته واصحابه إلى الماء.

حتّىٰ اذا شعر بحراجة الموقف، واقتراب شبح الموت، اشار علىٰ اصحابه ان يحفر كل واحد منهم قبره، حتّىٰ اذا هلك احدهم واراه اصحابه في حفرته، «حتّىٰ يكون آخركم موتاً قد وارى الجميع، فضيعة رجل واحد ايسر من ضيعة ركب».

وبعد ساعة انقدح في ذهن عبدالمطلب الوقاد ان الاستسلام عجز وسوء تصرف، فلا بد من مواصلة البحث عن الماء حتّىٰ ينقطع العذر.

وهكذا ركب عبدالمطلب ومن معه، حتّىٰ اذا انبعثت راحلته في سيرها الباحث عن الماء انفجر الماء تحت خف ناقة الشيخ مدرارا عذبا يملأ ما حوله من ارض جرداء، فعلا التكبير في تلك الفيافي الموات ..

فدعا عبدالمطلب خصومه ان هلمّوا إلى الماء، فقد سقانا الله عزّ وجلّ ولما جاول بعض اصحابه ان يمنعوا الخصم من الماء ردّاً علىٰ ما فعلوا، لم يلتفت عبدالمطلب إلىٰ ما رآه بعض اصحابه، فان النفوس الكبيرة لا يغيّر من سجاياها بخل بخيل، ولا اساءة مسيء ..

فقد رد ابن هاشم علىٰ اصحابه الذين طلبوا الاقتصاص من ذوي النفوس الضعيفة بقوله المترفع: «فنحن اذن مثلهم» اذن يتساوى الكريم والبخيل، والغيث مع الجدب، والعطاء مع الحرمان .. لا ليس ذلك من اخلاق عبدالمطلب، ولا من شيم وريث ابراهيم واسماعيل عليهما السلام.

وهكذا اذعنت قريش للحق قائلة: قد والله قضى الله لك علينا، يا عبدالمطلب، والله لا نخاصمك في زمزم ابدا، ان الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الّذي سقاك زمزم».(١)

وهكذا كانت هذه المعجزة الاخرى قد ارغمت معاطس قريش الوثنية علىٰ الاعتراف بحق عبدالمطلب في ميراث جده الاعظم عليه السلام.

١- الكامل لابن الاثير: ج٢ ص١٣.

عبدالمطلب وأصحاب الفيل

علا شأن مكة عند العرب، وشاع صيتها فيما حولها، وتعاظم امر الكعبة المكرمة عبر السنين، مما حمل بعض حكام العالم القديم في الشرق على ان ينشئوا معابد في عواصمهم ليصرفوا بها الناس عن التوجه إلىٰ مكة وتعظيم بيت الله تعالى فيها.

فقد اقام ملوك الغساسنة بيتاً، واقام ابرهة الاشرم معبداً في اليمن ليحذوا به حذو العرب في مكة! وفعل غير هؤلاء!

بيد ان هذه المحاولات باءت بالفشل، ولقد بلغ من تأثير مكانة مكة في العالم القديم، ان جرت محاولات من قبل بعض الطغاة لهدمها كما جرى ذلك في عهد ملك حمير: حسان بن عبد كلال الّذي غزا مكة لنقل احجارها إلى اليمن، فأسره فهر بن مالك احد اجداد رسول الله ﷺ، كما حاول ابرهة الاشرم ذلك، فمنع الله عز وجل بيته من بغي الظالمين وحسد الطغاة ..

ففي عام ٥٧٠م، وهو العام الّذي ولد فيه خاتم الانبياء والمرسلين محمد بن عبدالله بن عبد المطلب «ص» عزم ابرهة والي امبراطور الحبشة على اليمن ان يهدم الكعبة بعد ان غاضته مكانة مكة لدى الناس، ومقام بيتها المعظم، فبنى معبداً في اليمن كبديل للبيت الحرام ليصرف الناس به عن البيت حيث شيد لمعبده قباباً من ذهب وفضة، ثم دعا الناس لحج بيته المفتعل، ومما زاد في حنقه، وحسده، ان رجلا من اهل مكة من كنانة قصد اليمن، فعلم بمشروع ابرهة، وما يخطط لتنفيذه،

فاخذته الحمية فدخل بنيّة ابرهة ليلاً واحدث فيها ..

وهكذا زحف ابرهة بجيش من البلداء والمغفلين والمرتزقة، وكان يتقدم الجيش فيل كبير، حتّىٰ اذا وردت طلائع الجيش ارض مكة، وعلمت بذلك قريش ومن حولها من العرب لاذت بالفرار وراعها جمعه الكثيف، فخرج الناس عن دورهم واتخذوا رؤوس الجبال مهرباً لهم، وملجأ الا عبدالمطّلب بن هاشم الذي قام علىٰ سقايته، فقد بقي الرجل الوقور يتردد على الكعبة، ويأخذ بعضادتي بابها المبارك، وهو يخاطب ربه مستغيثاً، طالباً نصره، مستنزلاً انتقامه على البغاة وهو يردد هذه الابيات الضارعة:

لا همّ ان المرء يمنع رحله، فامنع حلالك

لا يغلبوا بصليبهم، ومحالهم عدواً محالك

لا يدخلوا البلد الحرام إذاً، فأمر ما بدالك[١]

وقد بدأ عدوان اصحاب الفيل بنهب اموال قريش التي صادفوها وهم في طريقهم نحو البيت، وكان مما نهبوا مائتا بعير لعبد المطلب فعزم ان يطالب قائدهم الأرعن بها، فلما قدم نحو عسكرهم، ابلغ ابرهة: ان سيد قريش قد اقبل فحسِب ابرهة أنّ عبدالمطلب جاءه عائذاً راجياً منه تغيير موقفه، كما يفعل الضعفاء من الناس عادة .. ودخل شيبة الحمد وهو يقطر هيبة وعلو شأن، فكرهَ ابرهة ان يجلس تحته فنزل الملك عن سريره،

١- مجمع البيان في تفسير القرآن للشيخ ابي علي بن الحسن الطوسي (تفسير سورة الفيل) وكتب التاريخ، الحلال: القوم الحالون في المكان والمحال: القوة والتدبير.

وجلسا معاً علىٰ الارض، والتفت ابرهة إلىٰ عبدالمطلب يسأله عما جاء به، فدار بينهما الحوار المعبر التالي:

أبرهة: ما حاجتك؟

عبدالمطلب: حاجتي مائتا بعير لي اصابتها مقدمتك!

أبرهة: والله لقد رأيتك، فأعجبتني، ثم تكلمت فزهدت فيك!

عبدالمطلب: ولِمَ أيها الملك؟

ابرهة: لاني جئت إلىٰ بيت عزكم، ومنعتكم من العرب، وفضلكم في الناس وشرفكم عليهم، ودينكم الّذي تعبدون، فجئت لاكسره، واصيبت لك مائتا بعير .. فكلمتني في ابلك، ولم تطلب اليّ في بيتكم.

عبدالمطلب: «بكلمة واثقة»، ايها الملك، انا اكلمك في مالي، ولهذا البيت رب هو يمنعه، لست انا منه في شيء!

وعاد عبدالمطلب ومعه ابله، وترك ابرهة، ومن حوله من الحاشية البليدة يضربون أخماسا بأسداس، وهم يتساءلون احقاً ان لهذا البيت رباً هو مانعه؟

لماذا لم يبدِ عبدالمطلب اكتراثاً بهذا الجيش المصمم علىٰ هدم الكعبة؟

ولماذا هذه الطمأنينة التي غمرت هذا الشيخ القرشي الهاشمي، وهو يتحدث عن البيت ومالكيته؟ فاذا كان ما يقوله حقاً، فماذا سيجري عندما تحين ساعة الصفر، ويتقدم الجيش لهذه البنية المستقرة في هذا الوادي الاحدب؟ ..

هذه الافكار بقيت تسهّد ابرهة واركان جيشه، ولكن الغرور عادة

يجمح بأصحابه الطغاة فيدفعهم دفعاً لتحقيق مآربهم، حتّىٰ وان احسوا بأمارات الخطر ..

وتحرك الجيش في سحر تلك الليلة باتجاه البيت الحرام، ولكن الفيل، كان «انفذ بصيرة» من راكبيه وسائقيه، والمؤتمين به! فعصى اوامر السلطان وعزم علىٰ تخريب الخطة! وتدمير المشروع!، فكلما وجهوه نحو الكعبة عصى اوامرهم، وبرك معرقلاً زحف الجيش، واذا وجهوه وجهة اخرى، انبعث مهرولاً، وترجوه، واستعطفوه، واقسموا عليه ان يتحرك، ويمضي معهم فلم يستجب وظل مخالفاً لبرنامج الغدر والبغي حتّىٰ طلعت شمس يوم عبوس قمطرير، فطلعت عليهم الطير الابابيل، لتعصف بوجودهم المعتدي ..

وهكذا برزت عبقرية ايمان عبدالمطلب، وفراسته القدسية، حيث صدقت نبوءته، اذ منع الله تعالى بيته، ودمر علىٰ عدوه ..

وقد ارّخ القرآن الكريم هذه الحادثة التاريخية الكبرى بسورة منه كاملة (سورة الفيل).

وبهذه الشذرات المشرقة من سيرة هذه الشخصية الابراهيمية المباركة تتجلى لنا العظمة والعلاقة الوطيدة بسلسلة النبوة الالهية العتيدة ..

انك ان تقرأ سفر حياة هذا الرجل العملاق تحس أنه مكلف من الله عز وجل بتجديد مشاريع ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام، في هذه البقعة المختارة للمهمة الكبرى ..

فعبد المطلب عليه السلام يعيد حفر زمزم فيتحقق امله، وتتحقق بدعائه صيانة البيت الحرام من كيد المعتدين، ويجري عليه في ولده عبدالله كما جرى

لابراهيم عليه السلام في محاولته ذبح ولده اسماعيل ـ كما هو معروف من السيرة والآثار والنصوص الصحيحة ـ حيث يذكر التاريخ القديم قصة مشوهة عن محاولة ذبح عبدالمطلب لولده عبدالله وفاء بنذر له لله عز وجل ..

ويغلب عليَّ ظني ان محاولة الذبح المذكورة قد جرت بعد تحقق امر هام لعبد المطلب يرتبط بالرسالة وميراث ابراهيم عليه السلام، لا كما تصوره الروايات المضطربة، التي تدخل الاصنام، والكهان عسفاً في الموضوع مما لسنا بصدد دراسته بشكل مفصل هنا ..

وريث الأمجاد

ان هذه المفاخر والمآثر الكريمة التي طفحت بها سيرة قصي، وهاشم وعبدالمطلب وغيرهم من اجداد رسول الله ﷺ ورثها «ابو طالب»، وزادها عطاء ونماء ليكون هذا الوريث المبارك اهلاً لحماية الحق الذي يصدع به خاتم الانبياء محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب «صلوات الله عليه وسلامه»، ورعاية المسيرة الهادية بكل طاقاته التي اتاحها الله تعالى له سواء اكانت طاقات روحية او اجتماعية او مادية او غيرها ـ كما سيتضح ـ.

وابو طالب هو عبدمناف او عمران او شيبة[1] بن عبدالمطلب بن هاشم جد النبي ﷺ ـ جمعاً بين روايات المؤرخين ـ وألقابه كثيرة كان اشهرها شيخ الابطح وسيد البطحاء، ورئيس مكة، ولكنه اشتهر بأبي طالب دون ألقابه جميعا ..

تصدى ابو طالب لرئاسة مكة المكرمة، والزعامة في بني هاشم وقريش كلّها بعد ابيه عبدالمطلب عليه السلام رغم قلة ثروته قياساً إلى «الملأ» من قريش ممن عاصروه، وتكاد تكون زعامته حالة شاذة لان الزعامة في قريش مشروطة بالدرجة الاولى ـ يومئذ ـ بامتلاك ناصية الاموال الوفيرة، تلك التي لم يكن ابو طالب عليه السلام قد وفرتها له الاقدار!

بيد ان مقومات ومواهب اخرى غير ذلك اهّلته لتسنم مركز القيادة العليا في مكة، حتىٰ كاد هذا الامر ان لا يكون شرطاً اساسياً حيث

١- انظر شيخ الابطح: محمد علي شرف الدين العاملي ط بغداد ١٣٤٩هـ ص٥.

استطالت شخصية ابي طالب عليه السلام، واستطال ظلها الظليل حتّىٰ اختفت اهمية المقوم المالي في ظلالها!

حتّىٰ قيل: ان قريشا كانت تطعم فاذا اطعم ابو طالب لم يطعم يومئذ احد غيره!! (١)

لقد ولد ابو طالب عليه السلام قبل ميلاد خاتم النبيين محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله بخمسة وثلاثين عاما، اي عام ٥٣٥ من ميلاد عيسى النبي عليه السلام، وترعرع في احضان شيبة الحمد (عبدالمطلب) بن هاشم، حيث المجد الشامخ، والقمة السامقة، فتأدب بآداب تلك النبتة الابراهيمية الطيبة التي آتت اكلها فضلاً وسؤدداً وبركة للناس، وحياطة لمفاهيم الحنيفية البيضاء ـ كما رأينا في الصفحات السابقة ـ..

وهكذا كان ابو طالب، كما يكون الولد البار علىٰ سر ابيه، فقد حمل مشعل ابيه في الهدى والاستقامة، وصون المكارم، وحماية الفضائل في مكة وما حولها، وكان وريث ابيه عبدالمطلب حقاً، في حمل سنن ابراهيم واسماعيل «عليهما الصلاة والسلام»، ومبادئهما الهادية ليستحق شرف كفالة خاتم الانبياء، وسيد الخلق علىٰ الاطلاق محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب صلى الله عليه وآله ..

وهاك مثالاً واحدا علىٰ سمو صفاته، ورفيع درجاته المعنوية، التي لم يغفلها اكثر اهل مكة رغم شركهم وانحرافهم:

فقد اخرج ابن عساكر في تاريخه عن جلهمة بن عرفطة قال: قدمت

---

١ - انساب الاشراف: النسابة والمؤرخ الشهير احمد بن يحيى البلاذري ٢ : ٢٣ (نسب ابي طالب).

مكة وهم في قحط فقالت قريش: يا ابا طالب: اقحط الوادي، واجدب العيال، فهلمّ واستسق فخرج ابو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجن تجلّت عنه سحابة قتماء وحوله اغيلمة فأخذه ابو طالب فألصق ظهره بالكعبة، ولاذ بأصبعه الغلام، وما في السماء قزعة، فأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا واغدق وانفجر له الوادي واخصب البادي والنادي ففي ذلك يقول ابو طالب:

وأبيض يستسقى الغمامُ بوجهه
ثمالُ اليتامى عصمةٌ للاراملِ
يلوذُ بهِ الهلاكُ من آلِ هاشمٍ
فهم عنده في نعمةٍ وفواضلِ
وميزانُ عدلٍ لايخيسُ شعيرةً
ووزّانُ صدقٍ وزنهُ غيرُ هائلِ[1]

وهاك قضية تشكل مصداقاً آخرَ علىٰ عظمة هذه الشخصية الربانية المظلومة: ففي حرب الفجار التي اشتعلت بين هوازن وكنانة كان ابو طالب يحضر هذه الحرب ومعه رسول الله ﷺ وهو صبي، فكان كلما حضر حققت هوازن تقدماً علىٰ عدوها، وان غاب ادبرت، فأحست هوازن بذلك، فقدّمت لأبي طالب رجاءها ان يحضر لتجد بركة وجوده،

١- الغدير للعلامة الاميني: ج٥ ص٣٤٥ ـ ٣٤٦، عن شرح البخاري للقسطلاني ٢:٢٢٧، المواهب اللدنية ١:٤٨، الخصائص الكبرى ١:٨٦، ١٢٤، شرح بهجة المحافل ١:١١٩، السيرة الحلبية ١:١٢٥، السيرة النبوية لزيني دحلان هامش الحلبية ١:٧٨، طلبة الطالب ص٤٢.

فيواتيها النصر، فاستجاب ابو طالب عليه السلام لها.[١]

ان هذه الشخصية العظيمة بسبب ما توفر لها من الصفات الروحية العظيمة اضافة إلىٰ مزاياها المعنوية المتميزة كتحريم الخمر والزنا، والتورع عن الموبقات مع الكرم والشجاعة، وصلة الارحام، والبر وقوة الارادة، والسماحة وغير ذلك .. قد أُهِّلت له لتكون مناخاً تعيش في ظلاله النبوة الخاتمة التي حملها محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله ..

وها هو عبدالمطلب العظيم وهو علىٰ وسادة الوفاة، يدلي بوصيته التاريخية امام اولاده وبني هاشم، مخاطباً بها ابا طالب وصيه في حمل الامانة بعده، وصون الوديعة الربانية:

«انظر يا ابا طالب ان تكون حافظاً لهذا الوحيد الّذي لم يشم رائحة ابيه ولم يذق شفقة امه، انظر ان يكون من جسدك بمنزلة كبدك فاني قد تركت بَنيَّ كلَّهم وخصصتُك به لانك من ام ابيه، واعلم فان استطعت ان تتبعه فافعل وانصره بلسانك ويدك ومالك فانه والله سيسودكم ويملك ما لا يملك احد من آبائي هل قبلت وصيتي؟ قال: نعم قد قبلت والله علىٰ ذلك شاهد.

فقال عبدالمطلب: مدَّ يدك، فمدَّ يده فضرب بيده علىٰ يد ابي طالب ثم قال عبدالمطلب: الآن خفف عليَّ الموت ولم يزل يقبله ويقول: اشهد اني لم ارَ احدا في ولدي اطيب ريحاً منك ولا احسن وجها».[٢]

١- السيرة الحلبية: ج ٢ ص١٥٢.

٢- مرآة العقول: للمرحوم الشيخ المجلسي (رض): ج ١ ص ٣٦٨.

ثم انشد عبدالمطلب:

وصيت من كنيته بطالب
عبد مناف، وهو ذو تجارب
يا ابن الحبيب اكرم الأقارب
بابن الذي قد غاب غير آيب

فأجاب أبو طالب والده بما يلي:

لا توصينَّ بلازمٍ وواجب
انيٍ سمعتُ أعجبَ العجائبِ
من كلِّ حبرٍ عالمٍ وكاتب
بأنَ بحمد اللهِ قولُ الراهبِ

ثم ان عبدالمطلب طلب من ابي طالب ان يمد يده فضرب عليها بيده[1] الكريمة تعبيراً عن قبوله بهذه الصفقة المباركة: رعاية النبي المختار ﷺ من قبل ابي طالب عليه السلام، حيث تشكل اغلى امانة وأسماها عند عبدالمطلب عليه السلام ..

ومن الطبيعي ان يكون اختيار عبدالمطلب لابي طالب وهو مسدد بالله تعالى قطعاً، كما رأينا صورا من ذلك التسديد الرباني ـ لكفالة خاتم الرسل ﷺ ورعايته لمواصفات روحية مميزة امتاز بها ابو طالب عن بقية اخوته اولاد عبدالمطلب، وليس صحيحاً ما يذهب إليه البعض من المؤرخين حين يتصور ان اختيار ابي طالب لهذه المهمة كان بسبب

١- نفس المصدر السابق.

اشتراكه مع عبدالله والد النبي ﷺ بأم واحدة، فحسب فـأن الزبـير بـن عبدالمطلب كان اخاً لعبد الله من امه وابيه ايضاً وانما كان ذلك الاختيار مخططاً، اذ ان ابا طالب كان مؤهلاً من الناحية الروحية لان يكون راعياً للرسول الخاتم والرسالة الخاتمة دون سواه من الخلق بعد عبدالمطلب.

ومن الآثار المعتبرة، يبدو ان ابـا طـالب كـان وصـي عـبدالمـطلب ومستودع اسراره الخاصة بمسيرة الهدى منذ ابراهيم واسماعيل جديهما عليهما السلام حتّىٰ ظهور النبي الخاتم من ولد اسماعيل «عليهم الصلاة والسلام».

ومن هنا فان الشيخ المجلسي «قدس الله نفسه الزكية» بـناء عـلىٰ مـا اجتمعت لديه من معلومات واخبار صحيحة قطع بما يلي:

«اجمعت الشيعة علىٰ ان ابا طالب لم يعبد صنما قط، وانه كان مـن اوصياء ابراهيم الخليل عليه السلام، وحكى الطبرسي اجماع اهل العلم علىٰ ذلك، ووافقه ابن بطريق في كتاب الاستدراك».[١]

ولقد ذكرت الاثار التي اهتمت بسيرة اولئك الاطياب ان ابا طالب كان يقول: «كان ابي يقرأ الكتب جميعاً، وقال: ان من صلبي نبياً لوددت اني ادركت ذلك الزمان، فآمنت به، فمن ادركه من ولدي، فليؤمن به».[٢]

وحيث ان ابا طالب كان مستودع اسرار ابيه فيما يخص مسيرة النبوة ومعالم الحق الرباني، فقد جاءت الرواية الصحيحة عن ائمة اهل البـيت عليهم السلام بهذا الشأن ما يلي:

سأل درست بن منصور ابا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: أكان رسول

١- بحار الانوار للمرحوم الشيخ المجلسي «رض»: ج ٩ ص٢٩.

٢- نفس المصدر: ص ٣١.

الله محجوجاً بأبي طالب؟ قال عليه السلام:

لا، ولكن كان مستودع الوصايا فدفعها إلى النبي صلى الله عليه وآله قلت: دفعها علىٰ انه محجوج به قال عليه السلام: لو كان محجوجاً به ما دفعها إليه قلت: فما كان حال ابي طالب قال عليه السلام: أقرّ بالنبي وبما جاء به حتّىٰ مات.(١)

ان هذا الموقع السامي الّذي يحتله ابو طالب في قافلة المسيرة الهادية هو الذي أهّله ليكون راعياً لخاتم الانبياء «عليهم الصلاة والسلام» وحامياً له من الاعداء والحاسدين ـ كما يتضح ـ.

لقد بدأت مهمة ابي طالب بشأن رعاية النبي صلى الله عليه وآله وكفالته منذ ان رحل عبدالمطلب إلىٰ ربه الاعلىٰ عز وجل بعد ان صان الامانة، وأداها إلىٰ اهلها منذ السنة الثامنة من عمر رسول الله صلى الله عليه وآله ..

لقد بدأت حياة هذا الغلام المبارك تفيض علىٰ عمه اليقين بمستقبله الزاهر بما يجري له من امداد رباني مخطط يحسه ابو طالب ويراه عياناً، فقد كان المصطفى صلى الله عليه وآله يعده ربه ويهيئه للمهمة الكبرى من لدن ان كان فطيماً، يقول امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام حول هذه الحقيقة ما يلي:

«ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن ان كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن اخلاق العالم، ليله ونهاره. ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر امه، يرفع لي في كل يوم من اخلاقه علماً، ويأمرني بالاقتداء به. ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه، ولا يراه غيري. ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وانا

---

١ ـ نفس المصدر ج ٩ ص٢٩.

ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة».[١]

وكانت آثار هذا الاعداد الالهي تفيض علىٰ جـوانب شـخصية هـذا الفتى المبارك هدىً، وسمتاً، واستقامة، وفضلاً، وكان ابو طالب يرى ذلك منه كل آن.

فقد كان ابو طالب يشهد ظواهر ذلك الاعداد الرباني لرسول الله ﷺ واضحة علىٰ سلوك النبيّ ﷺ، وهو لا يزال في مقتبل عـمره الشـريف فيشم أريج النبوة التي تفوح من محمد بن عبدالله ﷺ وديعة عبدالمطلب عند ابي طالب.

فهو لا يبدأ بطعام الا بعد ان يسمي عليه.

ولا يختم طعامه الاّ بحمد الله عزّ وجل.

وكان لا يأكل ما يذبح على النصب.

ولا يشارك المشركين في أعيادهم.

ولا يشاركهم لغوهم وعبثهم.

وكان الصادق الامين في قومه، يعرفه القاصي والداني في ذلك.

وكان ابو طالب يشهد آثاره وبركاته وخوارقه للمألوف، لقد كان ينام فيسطع النور من رأسه إلىٰ عنان السماء، وابو طالب يشهد ذلك ويراه.

ولقد عطش ابو طالب، والرسول ﷺ معه في ذي المجاز فـمال إلىٰ صخرة هناك فركلها النبي ﷺ برجله فنبع الماء من تحتها رقراقا ليروي ابا طالب من نبعها المبارك.[٢]

١- نهج البلاغة، تبويب الشيخ صبحي الصالح: ص ٣٠٠ ـ ٣٠١.

٢- السيرة الحلبية ١:١٣٩، وذو المجاز: موضع عند عرفة.

مع النبي (صلى الله عليه وآله) قبل بعثته

عاش ابو طالب «عليه الرحمة والرضوان» مع رسول الله ﷺ اكثر من اربعين عاما استوعبت ايام الصبا من عمر رسول الله ﷺ، وشبابه والعقد الاول من كهولته المباركة.

وقد قضاها ابو طالب كدحاً، ومعاناة من أجل حفظ الأمانة الكـبرى الّتي اُلقيت إليه من شيخه المعظم عبدالمطلب!

لقد تحول أبو طالب بالنسبة لمحمد ﷺ إلىٰ اكثر من أب، كما تحولت فاطمة بنت اسد زوجة ابي طالب إلىٰ اكثر من اُمّ لرسول الله ﷺ، حتّىٰ كان ﷺ يقول عنها: انها امّي بعد اُمّي.

فلقد كان هم ابي طالب عليه السلام رعاية النبي المنتظر ﷺ بكل وجوده وما يملك، فكان لا يفارقه في سفر ولا حضر، وصار احدهما للآخر كالظل وصاحبه لا يفترقان، وكان لا يأكل الا معه، ولا يقدم عليه احداً من أولاده ابداً.

وفي بيت ابي طالب عليه السلام بدأت معالم بركة النبي ﷺ وآثاره الطيبة، فقد كان ابو طالب ذا اسرة كبيرة، كثيرة النفقات، وكان ابو طالب مـقلاً فـي موارده، كثيراً ما كان يعجز عن اشباع افراد عائلته، حتّىٰ اذا انضم رسول الله ﷺ اليها بعد رحيل عبدالمطلب حوالي عام ٥٧٨ ميلادية، زحـفت اليها البركة من كل مكان، وورثت الري والشبع منذ ذلك اليوم. فلما رأى ابو طالب تلك الآثار كان يعرض الطعام اولاً علىٰ ابن اخيه المصطفى ﷺ لينال منه شيئاً، ولكي تغمره البركة، فكان يفيض عن حـاجة الآكـلين!

وكان ا بو طالب يقول له: انك لمبارك.(١)

ولشدة عناية ابي طالب عليه السلام بالغلام المبارك، انه لم يفارقه حتّىٰ في سفره إلىٰ بلاد بعيدة، فقد عزم ابو طالب على السفر إلى الشام ضمن قافلة قرشية، وكان يخشى ان ترهق هذه المسافة المضنية ولده محمداً صلى الله عليه وآله فكان بين عسر الفرقة وخوف المشقة من السفر، وحين ترجح للشيخ الكريم ان ينأى بولده عن مشقة السفر شفقة عليه، قرر الرحيل بمفرده، فلما حان وقت الرحيل، وتقدم الشيخ نحو راحلته سمع كلمات الغلام المبارك، وهي تختنق بالعبرات: يا عم الى من تكلني؟ فيرق قلبه، وهو يقول: والله لأخرجن به معي، ولا يفارقني، ولا افارقه ابداً!

وكان عمر النبي صلى الله عليه وآله يومذاك تسع سنين، وقد اركبه معه علىٰ راحلته الميمونة، حتّىٰ اذا بلغت القافلة «بصرى» من بلاد الشام كان خارج المدينة المذكورة دير لعالم نصراني كبير يرث علم النصرانية عمن سبقه، وكان هذا الدير لا يخلو من عالم بالاديان واسرارها حتّىٰ يحل بديل له، حتّىٰ انتهت الامانة فيه الى «بحيرا» الّذي كان يملك منْ علم موسى وعيسى وغيرهما الشيء الكثير، وكان ثاوياً في هذه البقعة يتطلع إلىٰ لقاء خاتم الرسل في مطلع حياته لعلم ورثه عن الصادقين من رسل الله تعالى الماضين.

واقبلت القافلة، فأطل بحيرا برأسه على القادمين، حيث تعلق قلبه بالقافلة المقبلة ما ليس كعادته، فقد كان من عادته ان لا يختلط برائح ولا

---

١ - السيرة النبوية ١: ٨٠ والسيرة الحلبية ١: ١٣٧ و١٣٨.

قادم، رغم ان ديره علىٰ طريق القوافل.

فحين اقبلت القافلة كان الراهب ببصيرته المعنوية النافذة يرى غمامة تظلل احداً في الركب لتحميه من الهجير، كما رأى الشجرة التي استقر عندها ذلك القادم قد تحركت اغصانها حركة خارج حدود العادة، عندما استراح القوم قرب الدير، لتباشر خدمة النبي ﷺ في عملية التظليل من الشمس «حيث هصرت اغصانها حتّىٰ استظل بها».(١)

فراع الراهب ما رأى، فنزل من صومعته مسرعاً، ودعا القافلة إلىٰ طعام عنده لتتوفر له من الفرص ما يكفي ليطابق بين الآثار الالهية التي ورثها، وبين ما يرى، أهو الرسول المختار الّذي تنتظره الارض أم هو شيء غير ذلك؟

فلما اجتمع القوم عنده لتناول الطعام، قال الراهب: لا يتخلف منكم أحد صغير أو كبير، فقالوا له: لم يتخلف منا غير غلام تركناه في رحلنا!

ففزع الراهب اليه، وهو في رحلهم، حيث هو ضالته المنشودة فاحتضنه وجاء به، وهو ينظر إليه نظراً فاحصاً، ويتأمل اشياء في جسده المبارك «كان يجدها في صفته» التي تركتها له آثار الانبياء المبشرة بمقدمه الميمون..

فلمّا فرغ القوم من طعامهم، وتفرقوا، اختلى الراهب، بالرسول الموعود محمد ﷺ وعمه أبي طالب وراح يسأله عن أحواله في نومه ويقظته، ورسول الله ﷺ يجيبه، فوجدها بحيرا موافقة لما عنده من آثار

١ - الكامل في التاريخ لابن الاثير الجزري: ٢:٣٧.

وبشائر، ثم نظر الراهب إلىٰ خاتم النبوة بين كتفيه ..

ثمّ يلتفت الراهب إلىٰ عمه أبي طالب سائلاً: ما هذا الغلام منك؟

أبو طالب: ابني!

الراهب: ما ينبغي ان يكون أبوه حيّاً.

أبو طالب: هو ابن اخي مات أبوه وأُمّه حبلى به.

الراهب: صدقت! ارجع به إلىٰ بلدك، واحذر عليه اليهود فوالله لئن رأوه، وعرفوا منه ما عرفت ليبغُنَّه شرّاً، فانّه كائن له شأن عظيم.(١)

فعاد به أبو طالب عليه السلام إلىٰ مكة المكرمة وهو اشد ما يكون حرصاً ورعاية وحياطة له.

وفوق هذا وذاك، فانه اشد ما يكون يقيناً بنبوته، ومستقبله الوضيء المشرق، حيث تتراكم البراهين وتتكاثر المصاديق يوماً بعد يوم علىٰ حتمية وقوع هذا الحدث الكوني العظيم، ابتداء من وصية عبدالمطلب، إلىٰ نبع الماء تحت رجله، إلىٰ آثار بركته في دار عمه، إلىٰ خصائصه الذاتية الواضحة في سلوكه وهديه وصدقه واستقامته، اضافة إلىٰ اخبار الراهب بحيرا بما تؤول إليه أُموره وغير ذلك كثير ..

---

١ - الكامل ٢:٣٧ وغيره من كتب السيرة.

اقتران الرسول (صلى الله عليه وآله) بخديجة

وبعد ان شاع ذكر رسول الله ﷺ العطر، وملأ ارجاء مكة، حيث الصدق والاستقامة، والامانة، وكرم الاخلاق، وطيب النفس، رغبت خديجة بنت خويلد ان تضاربه في مالها ـ وهي امرأة تاجرة حازمة شريفة ـ فعرضت علىٰ رسول الله ﷺ ان يخرج في مال لها إلى الشام، بصحبة غلامها الأمين ميسرة، وتعطيه اكثر مما تعطي سواه من الرجال، الذين ينهضون بعمل لها من هذا القبيل.

وأجابها النبي ﷺ لذلك، وسافر ببضاعتها إلى الشام، فباع وابتاع وحقق ربحاً وفيراً، فلمّا عاد من سفره حدثها ميسرة عمّا رأى من شمائله الكريمة التي لم يشهد مثلها فيمن صحبهم، كما حدّثها عمّا نبّأه به راهب في طريق الشام حيث رآه اذ قال له فيما قال: ما نزل تحت هذه الشجرة الاّ نبي.[١]

ومنذ نجاح هذه الصفقة راحت خديجة عليها السلام تفكر كيف يمكنها ان تتزوج بالرسول المنتظر ﷺ، بينما كانت قبل ذلك ترفض الرجال حتّىٰ خطبها سادة قريش، فلم تجد منهم من يملأ طموحها المعنوي، حتّىٰ نفضوا أيديهم منها يأساً..

اجل، كيف يمكنها ان تحظى بمحمد بن عبدالله ﷺ فتى قريش، الصادق الامين الّذي امتلأت اندية مكة بأريج سيرته الفواح ..

١ـ نفس المصر ص ٣٩.

فكّرت ملياً فرأت ان كبرياءها لا بد ان تضحي به من اجل محمد ﷺ ولابد ان تبدأ خطوة على الطريق، فأرسلت إليه اختها هالة او صديقة لها اسمها نفيسة بنت منبه، فعرضت نفسها عليه.

لقد ذهبت الوسيطة إلى النبي ﷺ دسيسا، وجرى هذا الحوار القصير الحاسم:

نفيسة: ما يمنعك ان تتزوج؟ قال ﷺ:

ما بيدي ما أتزوج به .. قالت:

فان كفيت ذلك، ودعيت إلى الجمال والمال والشـرف والكـفاءة، ألا تجيب؟ قال: فمن هي؟

نفيسة: خديجة! قال النبي ﷺ:

كيف لي بذلك؟ قالت:

عليَّ ذلك!

وأعلن المصطفى ﷺ قبوله بالعرض المبارك![1]

ثم جرى اتفاق ان يحضر مع أعمامه لخطبة سيدة قريش من عـمّها عمرو بن أسد، حيث ان أباها قد قضى نحبه قبل حرب الفجار ..

وأسرع الرسول ﷺ إلىٰ عمّه أبي طالب يثلج صدره بهذا الخبر السار

١- حياة محمد: محمد حسين هيكل ط ١٣٥٤ هـ القاهرة ص ٨٤.

الّذي فوجىء به هو كذلك، وأرسل أبو طالب سيد قريش، وزعيم العرب يومذاك ليخطب خديجة من عمّها عمرو بن أسد، وعقد الاجتماع في دار خديجة، وكانت داراً واسعة رحبة ..

وتحدث سيد بني هاشم أبو طالب فقال:

«الحمد لله الّذي جعلنا من ذرية ابراهيم، وزرع اسماعيل، وضئضيء معد، وعنصر مضر، وجعلنا حضنة بيته، وسوّاس حرمه، وجعل لنا بيتاً محجوباً، وحرماً آمناً، وجعلنا حكّام الناس.

ثم إنّ ابن اخي هذا ـ محمد بن عبدالله ـ لا يوزن برجل، الاّ رجّح به: شرفاً ونبلاً وفضلاً وعقلاً. فان كان في المال قلٌّ، فان المال ظل زائل، وأمر حائل، وعارية مسترجعة.

ومحمد من قد عرفتم قرابته. وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها ما آجله وعاجله «كذا». وهو، والله! ـ بعد هذا ـ له نبأ عظيم، وخطر جليل جسيم».(١)

لقد كان هذا الحديث من أبي طالب دليلاً واضحاً علىٰ اعتزازه بالارتباط بابراهيم واسماعيل نسباً وحسباً، حيث يحمد الله عزّ وجلّ علىٰ هذا الارتباط ثم يعرج على صلب الموضوع فيذكّر الجالسين بمكانة النبي ﷺ المعنوية وقيمته الخلقية والروحية في الناس، وما سيصير إليه أمره بعد حين، حيث يستشرف للحاضرين المستقبل القريب

١ ـ ابو طالب مؤمن قريش: عبدالله الخنيزي ص ١٤١ عن مصادره.

لمحمد بن عبدالله ﷺ، وهو حمل الرسالة الالهية الخاتمة، اذ لا يستحق ان يسمى نبأ عظيماً، وخطراً جليلاً، جسيماً، علىٰ لسان أبي طالب، غير هذه القمة السامقة التي سيبلغها محمد بن عبدالله ﷺ وشيكاً.

وهكذا هيأ أبو طالب الاذهان لمستقبل النبي ﷺ والدعوة، والرسالة..

وفي هذه الاجواء الجليلة تمت الخطبة، وتمت الزيجة، ودخلت خديجة في عصمة رسول الله ﷺ زوجة مباركة، وأُمّاً للمؤمنين، وحِجرا لرعاية الكوثر المعين.

الاذن بالدعوة وموقع أبي طالب

كان محمد بن عبدالله ﷺ نبياً منذ صغره، الاّ انه لم يؤذن له بدعوة الناس إلىٰ رسالته الاّ ببلوغه الأربعين عاماً، وبعد نزول سورة المدثر التي اذنت مطالعها بإعلان الدعوة: «قم فأنذر وربّك فكبّر ..» باشر عملية «الدعوة»، الاّ انه في بداية نبوته كان يفيض من هديه المبارك علىٰ أقرب الناس إليه من أمثال: أبي طالب، وعليّ، وخديجة، وجعفر ابن أبي طالب، وزيد بن حارثة، الذين يمثلون أهل بيته حقيقة واقعاً في تلك المرحلة المبكّرة، اذ هم عمّه وابناء عمه (علي وجعفر) وزوجته، وخادمه، ومن أجل ذلك، اشار ابن هشام في سيرته إلىٰ ذلك بقوله: «فجعل رسول الله ﷺ يذكر ما انعم الله عليه، وعلى العباد به من النبوة سراً، إلىٰ من يطمئن إليه من اهله ..».[١]

فماذا بقي من التاريخ الصحيح حول المواقف المشرقة لابي طالب عليه السلام بشأن الايام الاولى من الدعوة؟

لقد قدمنا بين ثنايا البحث فيما سبق ان ابا طالب عليه السلام علىٰ علم بما سيؤول إليه امر ابن اخيه، فهو المختار لأعظم رسالة، وهو المصطفى بحمل أجل مهمة الهية في الارض، نبأه بذلك ابوه عبدالمطلب: «ان من صلبي لنبياً لوددت اني ادركت ذلك الزمان، فآمنت به،. فمن ادركه من

١- سيرة ابن هشام ١: ٢٥٩ طبعة مصر ١٠٣٦م.

ولدي، فليؤمن به»[١] كما سمع ذلك من الرهبان واصحاب الاثار، لذا، فقد كان ابو طالب عليه السلام علىٰ موعد مع القدر الالهي، حيث يعلن بدء المسيرة الربانية الجديدة، ليكون ابو طالب واهل بيته اول الملبين للدعوة والمندمجين بخطها المبارك المستقيم.

وهذه بعض الآثار الصحيحة التي تجسد ارتباط ابي طالب بالدعوة واندماجه بالرسالة الالهية المباركة منذ ايامها الاولى، اسوة بالسابقين الاول من اهل البيت عليهم السلام.

١ ـ ما اشد تصديقنا لحديثك :

ذكر جعفر بن عبدالله بن ابي الحكم: لما انزل الله علىٰ رسوله: «وانذر عشيرتك الاقربين»، اشتد ذلك عليه وضاق به ذرعاً، فجلس في بيته كالمريض، فأتته عماته يعدنه، فقال: ما اشتكيت شيئاً ولكن الله أمرني ان انذر عشيرتي الاقربين، فقلن له: فادعهم ولا تدع ابا لهب فيهم فانّه غير مجيبك. فدعاهم صلى الله عليه وآله فحضروا ومعهم نفر من بني المطلب بن عبد مناف، فكانوا خمسة وأربعين رجلاً، فبادره ابو لهب وقال: هؤلاء هم عمومتك وبنو عمك فتكلم ودع الصباة، واعلم انه ليس لقومك في العرب قاطبة طاقة، وان احق من اخذك فحبسك بنو أبيك، وان اقمت علىٰ ما انت عليه فهو ايسر عليهم من ان يثب بك بطون قريش وتمدهم العرب، فما رأيت

---

١ - الغدير «للشيخ الاميني (رض)» ٨:٣٤٨ نقلا عن فقيه الحنابلة ابراهيم بن علي الدينوري في نهاية الطلب وغاية السؤل في مناقب آل الرسول صلى الله عليه وآله بأسناده.

احداً جاء علىٰ بني ابيه بشرّ مما جئتَهم به. فسكت رسول الله ﷺ ولم يتكلم في ذلك المجلس، ثم دعاهم ثانية وقال: **الحمد لله، احمده واستعينه وأومن به وأتوكل عليه واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له، ثم قال: ان الرائد لا يكذب اهله، والله الّذي لا اله الا هو اني رسول الله اليكم خاصة والى الناس عامة، والله لتموتُّن كما تنامون، ولتبعثُنَّ كما تّستيقظون، ولتحاسبنَّ بما تعملون، وانها الجنة ابداً والنار ابدا.**

فقال ابو طالب: ما أحبَّ الينا معاونتك وأقبلنا لنصيحتك وأشد تصديقنا لحديثك، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون، وإنما أنا احدهم، غير اني اسرعهم إلىٰ ما تحب، فامض لما أُمِرتَ به فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك.

فقال ابو لهب: هذه والله السَّوأة! خذوا علىٰ يديه قبل ان يأخذ غيركم. فقال ابو طالب: والله لنمنعنَّه ما بقينا.(١)

فهل هناك اكثر من هذه الكلمات التي يفوه بها ابو طالب صدقا ودلالة علىٰ تصديق ابي طالب برسالة محمد بن عبدالله ﷺ؟

وهل التصديق والايمان بالرسالة ابلغ من هذه الكلمات الصادقة التي نطق بها ابو طالب امام العشرات من رجال بني هاشم؟

٢ ـ الزم ابن عمك :

في بدايات الدعوة المباركة، كان ابو طالب عليه السلام حريصاً ان يري رسولُ

١- الكامل في التاريخ لابن الاثير: ٢:٦١.

الله قومَه بعض معاجزه الخارقة.

فقال لرسول الله ﷺ ـ في محضر من قريش ليريهم فضله ـ يا ابن أخي: الله ارسلك؟

قال: نعم.

قال: ان للانبياء معجزاً، وخرق عادة، فأرِنا آية.

قال: ادع تلك الشجرة، وقل لها: يقول لك محمد بن عبدالله اقبلي باذن الله، فدعاها، فأقبلت حتّىٰ سجدت بين يديه، ثم امرها بالانصراف، فانصرفت.

فقال ابو طالب: اشهد انك صادق ثم قال لابنه عليّ عليه السلام: يا بني الزم ابن عمك.(١)

وقال مرة لعليّ ولده: ما هذا الدين الذي أنت عليه؟ قال: يا أبه! آمنت بالله وبرسوله وصليت معه. فقال: اما انه لا يدعونا الّا إلى الخير فألزمه.(٢)

أفبعد هذه الحقائق الناصعة شك بتمسك ابي طالب بدين الحق وحرصه عليه، ودعوته اولاده إلى التمسك به وصونه؟

٣ـ صل جناح ابن عمك:

ومن جميل ما يؤثر عن ابي طالب عليه السلام، انه رأى رسول الله ﷺ وعلياً

---

١ - ايمان ابي طالب للامام شمس الدين ابي علي فخار بن معد الموسوي ـ تحقيق السيد محمد بحر العلوم ص ١٢٨.

٢ - الكامل في التاريخ لابن الاثير ج ٢ ص٥٨.

يصليان وكان علي علىٰ يمينه، فهتف بجعفر ولده، وقد وقع نظره عـليه: (صلْ جناحَ ابن عمك، فصلِّ عن يساره).(١)

٤ ـ صبراً أبا يعلى:

وحين أسلم اخوه حمزة، دعاه ابو طالب إلىٰ اظهار اسلامه والتذرع بالصبر على المكاره، وأن ينصر رسول الله ﷺ، فكانت هذه الابيات التي تقطر ايماناً وحرصاً علىٰ الاسلام، بقدر ما كان ابو طالب يظهرُ فيها داعيةً للحق، ومن أشد الدعاة حماسة وصدقاً:

.. فصبراً ـ ابا يعلى! علىٰ دين أحـمد

وكن مـظهراً للـدين ـ وفِّـقت صـابرا

وحِطْ من أتىٰ بالحق، مـن عـند ربـه

بصدق وعزم، لا تكن ـ حمز! ـ كافرا

فــقد ســرني، اذ قـلت: انك مـؤمن

فكــن لرسـول الله فــي الله نــاصرا

ونــادِ قــريشاً بــالذي قــد أتــيتَه

جهاراً، وقل: ما كان أحمدُ سـاحرا(٢)

---

١ ـ السيرة النبوية: ١:١٧٧، والحلبية ١:٣٠٤، واسد الغابة ١:٢٨٧.

٢ ـ الشرح الحديدي لنـهج البـلاغة ٣ : ٣١٥ والحـجة عـلى الذاهب ٧١، والمـناقب ٣٦، والبـحار ٦:٤٥٤، والعباس ٢٢، وايمان ابي طالب ١٦ نقلا عن ابي طالب مؤمن قريش (عبدالله الخنيزي ص ١٥٥).

٥ ـ فوالله لا أسلمك لشيء أبداً:

من أعظم نعم الله سبحانه وتعالى علىٰ رسول الله ﷺ، كان ابو طالب عمه، نصير الدعوة، وحامي الرسول ﷺ،والذائد عن حياض الرسالة، ولو قدر ان ابا طالب ـ وهو هو في مكانته الاجتماعية السامية في مكة وما حولها ـ لم يضع وجوده تحت تصرف الرسول ﷺ ودعوته، إلى الحد الّذي جعله يضع تحت تصرف الدعوة ورسولها كل عشيرته بنفوذها، ويغامر بأولاده ومكانته وامكاناته الذاتية حتّىٰ عاش مرارة الحصار في الشعب، والمقاطعة التامة من قريش، له ولعشيرته ..

اقول: لو افترض احد ان الرسول ﷺ لم يحضَ بهذا الدعم العظيم، فماذا يتوقع الانسان ان يكون مستقبل الرسول ﷺ والدعوة؟

ولقد دوَّن تاريخ البشرية ان رسول الله ﷺ فور فقده لأبي طالب (ع) استضعفته قريش، وراح يعرض نفسه علىٰ رؤساء القبائل باحثاً عمن يجيره حتّىٰ يبلّغ كلمة الله عز وجل إلىٰ عباده، فلم يجد منْ يمنعه عن قريش وبغيها وصدودها عن الحق، فاضطر إلى الهجرة إلىٰ يثرب سرا، بعد ان اجمعت دار الندوة علىٰ قتله بطريقة جبانة.

لقد كان ابو طالب خير من آوى ونصر، ودافع وبذل، من أجل ان يحقق محمد رسول الله ﷺ اهدافه ا لعظيمة، ويقول كلمته للناس.

ولقد فاوضته قريش مراراً، وبذلت قصارى جهودها من أجل أن يتخلى عن تبنيه لرسول الله ﷺ، ولكنه افشل كل مشروع وخطة قرشية.

ولقد جاءه وفد من مشيخة قريش فيهم أبو جهل، والوليد بن المغيرة

وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وامثالهم، ثم قالوا: يا أبا طالب ان ابن أخيك، قد سبّ آلهتنا، وعاب ديننا، وسفه احلامنا، وضلل ابناءنا فامّا أن تكفه عنّا، وإمّا ان تخلي بيننا وبينه. فقال ابو طالب قولاً جميلاً، وردهم رداً رقيقاً، فانصرفوا عنه، ومضىٰ رسول الله ﷺ، لما هو عليه[١] من الدعوة إلىٰ الله وفضح الباطل، وتزييف الضلال ..

وسرعان ما عادت قريش لأبي طالب مرة اخرى فقال الملأ منهم: يا أبا طالب ان لك سناً وشرفاً، وانا قد اشتهيناك ان تنهى ابن اخيك، فلم تفعل، وانا والله لا نصبر علىٰ هذا: من شتم آلهتنا وآبائنا، وتسفيه احلامنا، حتّىٰ تكفه عنا، او ننازله واياك في ذلك حتّىٰ يهلك أحد الفريقين[٢].

وكان في هذا التهديد ما فيه، فأن بني هاشم لا تقوى علىٰ منابذة قريش بكل بطونها وعشائرها اذا هي نا زلت بني هاشم الحرب والعدوان، فعقد ابو طالب اجتماعاً خاصاً مع رسول الله ﷺ وأعلمه بما جاءت به قريش من التهديد، والشدة، وتداول معه بما هو الانسب لمواجهة قريش بعد هذا ..

فقال رسول الله ﷺ: (يا عماه، لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في شمالي، علىٰ ان اترك هذا الامر حتّىٰ يظهره الله، او أهلك فيه ما تركته).

فلمّا رأى ابو طالب هذه الكلمات الحاسمة من خاتم الرسل ﷺ شدّ

١- الكامل لابن الاثير ج٢ ص٦٣ ـ ٦٤.

٢- نفس المصدر: ص ٦٤.

علىٰ يديه قائلاً: «يا ابن اخي، فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء ابداً».[١]

ومن سفاهة رأي «الملأ» من قريش انهم لما ايقنوا (انّ ابا طالب لا يخذل رسول الله ﷺ)[٢]، جاؤوا اليه، فقالوا: هذا عمارة ابن الوليد فتى قريش، واشعرهم، وأجملهم، خذه لك ولداً، واسلم لنا ابن اخيك، فانما هي رجل برجل!! فقال ابو طالب ـ وهو يرتجف عزماً ورفضاً ـ: والله لبئس ما تسومونني، اتعطوني ابنكم أغذوه، وأعطيكم ابني تقتلونه؟ هذا والله لا يكون ابدا!

ثم ان ابا طالب زجر المطعم بن عدي بن نوفل وهدده ـ وكان مع القوم ـ وقال: والله ما انصفوني، ولكنك اجمعت علىٰ خذلاني، ومظاهرة القوم عليّ، فاصنع ما بدا لك.[٣]

على ان ابا طالب جمع بني هاشم قاطبة، وكشف لهم خيوط المؤامرة ودعاهم إلىٰ نصرة المصطفى ﷺ والذود عنه، فاجمعت بنو هاشم علىٰ منع النبي ﷺ، ونصره دون عدو الله ابي لهب ..

وللمرء المنصف ان يقيّم هذه المواقف الجليلة من ابي طالب حامي الهدى وناصر الحق ليرى إلىٰ اي مدىً بلغ حرصه علىٰ الاسلام، والى حد وصل ايمانه بمحمد ﷺ ورسالته؟

١- نفس المصدر والصفحة وغيره من كتب السيرة، مثل الطبري ج٢ ص٦٤، ص٦٧ والسيرة النبوية والحلبية وغيرها.

٢- نفس المصدر ص ٦٥ وغيره من مصادر السيرة.

٣- المصادر نفسها.

وان ننسَ، فلا ننسىٰ وصية ابي طـالب عليه السلام لوجـوه قـريش بـعد ان حضرته الوفاة، وأيقن بالرحيل، فقد جمعهم إليه وأوصاهم بهذه العبارات التي تقطر ايماناً وصدقاً واخلاصاً لله ولرسوله ورسالته:

«يا معشر قريش! انتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب، فيكم السيد المطاع، وفيكم المقدام الشجاع، الواسع الباع، واعلموا انكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيباً الاّ احرزتموه، ولا شرفاً الاّ ادركتموه، فلكم بذلك على الناس الفضيلة، ولهم به اليكم الوسيلة، والناس لكم حرب وعلىٰ حربكم الب، واني اوصيكم بتعظيم هذه البنية (يعني الكعبة) فان فـيها مرضاة للربّ، وقواماً للمعاش، وثـباتاً للـوطأة، صـلوا ارحـامكم ولا تقطعوها، فان صلة الرحم منسأة في الأجل، وزيادة في العدد، واتـركوا البغي والعقوق ففيهما هلكة القرون قبلكم، اجـيبوا الداعـي، واعـطوا السائل فأن فيهما شرف الحياة والممات، وعـليكم بـصدق الحـديث، وأداء الامانة، فان فيهما محبة في الخاص، ومكرمة في العام.

واني اوصيكم بمحمد خيراً فانه الامين في قريش، والصـديق فـي العرب، وهو الجامع لكل ما اوصيتكم به، وقد جاءنا بأمر قَبله الجـنان، وأنكره اللسان مخافة الشنآن، وأيم الله كأني انظر إلىٰ صعاليك العـرب وأهل الاطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعـوته، وصـدقوا كلمته، وعظَّموا امره، فخاض بهم غمرات المـوت، وصـارت رؤسـاء قريش وصناديدها اذنـاباً، ودورهـا خـراباً، وضـعفاؤها اربـاباً، واذا اعظمهم عليه احوجهم اليه، وأبعدهم منه أحظاهم عـنده، قـد مـحضته

العرب ودادها، وأصفت له فؤادها، وأعطته قيادها، دونكم يا معشر قريش! ابن أبيكم، كونوا له ولاة ولحزبه حماة، والله لا يسلك احد سبيله الاّ رشد، ولا يأخذ احد بهديه الاّ سعد، ولو كان لنفسي مدة، وفي أجلي تأخير، لكففت عنه الهزاهز، ولدافعت عنه الدواهي».(١)

وبعد ان عمم خطابه التفت إلىٰ بني هاشم خاصة، وخصهم بخطابه، فقال: **يا معشر بني هاشم! أطيعوا محمداً، وصدّقوه تفلحوا وترشدوا .. لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد، وما اتبعتم امره، فاتبعوه، وأعينوه ترشدوا..».(٢)**

١- ورد في كتاب الغدير للعلامة الاميني ج ٧ ص٣٦٦ نقلا عن: الروض الانف ١:٢٥٩، المواهب ١:٧٢، تاريخ الخميس ١:٣٣٩، ثمرات الاوراق هامش المستطرف ٢:٩، بلوغ الارب ١:٣٢، السيرة الحلبية ١:٣٧٥ السيرة لزيني دحلان هامش الحلبية ١:٩٣، اسنى المطالب ص٥.

٢- نفس المصدر، نقلا عن الوصية الموجودة في تذكرة السبط ص٥، الخصائص الكبرى ١:٨٧، السيرة الحلبية ١:٣٧٢، ٣٧٥، سيرة النبي لزيني دحلان هامش الحلبية ١:٩٢، ٢٩٣، أسنى المطالب ص١٠، ورأى البرزنجي ان في هذا الحديث دليلا علىٰ ايمان ابي طالب ونعما هو، قال: قلت: بعيد جدا ان يعرف ان الرشاد في اتباعه ويأمر غيره بذلك ثم يتركه هو.

صحيفة المقاطعة وحصار الشعب

أيقنت زعامة قريش انها فشلت في اثناء ابي طالب عن نصرة رسول الله ﷺ والذود عنه وعن دعوته مهما حاولت، وبذلت، ولقد ارهقها اصراره علىٰ تبنيه والذب عنه..

الامر الّذي حمل قريشاً علىٰ ان تفكر في طريقة تؤذي بها بني هاشم كلها لتحملهم على التخلي عن النبي ﷺ ، وهكذا كان مشروع المقاطعة الخبيث، حيث تعاقدت قريش في اجتماع لها في المحصّب علىٰ مقاطعة بني هاشم وبني المطّلب «علىٰ ان لا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوا لهم شيئاً ولا يبتاعوا ولا يقبلوا منهم صلحا ابداً، ولا تأخذهم بهم رأفة حتّىٰ يسلموا رسول الله ﷺ للقتل، ويخلوا بينهم وبينه».

وقد كتبت هذه المحاور اللعينة التي تقطر ظلماً وأنانية وعدواناً، في وثيقة وعلقت في جوف الكعبة في مطلع محرم الحرام سنة سبع من البعثة الشريفة.

وحين اصْرت قريش علىٰ تنفيذ هذه الخطة الخبيثة، انحاز بنو هاشم والمطلب إلىٰ أبي طالب ودخلوا معه الشعب دون أبي لهب الذي كان مع قريش.

فحصَّن أبو طالب «الشِعب» وأمر بحراسته ليلاً ونهاراً، حتّىٰ صار بنو هاشم لا يخرجون من الشِعب الاّ وقت الموسم «موسم العمرة في رجب وموسم الحج في ذي الحجة».

وقد اصرّت زعامة قريش على الحيلولة دون وصول اي طعام للشعب حتّىٰ يستسلم بنو هاشم ويسلّموا النبي ﷺ، حتّىٰ لاقى بنو هاشم من ذلك عنتا شديدا وشدة استمرت ثلاث سنين، وكان صراخ أطفالهم يسمع من بعيد بسبب شدة الجوع حتّىٰ أكلوا الخبط وورق الشجر، وكان لا يصلهم الاّ الشيء اليسير جداً من الطعام، بعضه بأموال خديجة، وبعضه ممن يتعاطف مع مظلوميتهم ..

ولقد اضرّ بهم الحصار والمقاطعة كثيراً، ولا قوا من البلاء ما لا يوصف، وطوال تلك الفترة كان أبو طالب عليه السلام، يخشى على النبي ﷺ من الاغتيال، فاذا عسعس الليل، ينام الرسول ﷺ علىٰ فراشه، فاذا غطَّ الناس في نومهم جاء أبو طالب، وأيقظ رسول الله ﷺ وغيَّر مكان نومه، اذ كان ينيم «علياً» مكانه.

ولما رأى الله جل وعلا منهم الصبر والصمود، أرسل دودة «الارضة» فأكلت ما فيها من ظلم وقطيعة رحم، وتركت ما فيها من أسماء الله عزّ وجل حيث كانت قريش تبتدىء كتابتها بعبارة «باسمك اللهم» وما إلىٰ ذلك.

فجاء جبريل عليه السلام وأخبر النبي ﷺ بما آل إليه أمر الصحيفة الظالمة، فأخبر عمّه أبا طالب بذلك.

وكان أبو طالب لا يشك في قوله، فخرج من الشعب إلى الحرم فاجتمع الملأ من قريش، وقال: ان ابن اخي أخبرني انّ الله ارسل علىٰ صحيفتكم الأرضة فأكلت ما فيها من قطيعة رحم وظلم وتركت اسم الله

تعالى، فأحضروها، فإن كـان صادقاً علمتم انّكم ظالمون لنـا قـاطعون لأرحامنـا، وإن كـان كاذباً علمنـا انّكم علـىٰ حق وإنّا علـىٰ بـاطل.

فقاموا سراعاً واحضروها فوجدوا الأمـر كـما قـال رسـول الله ﷺ وقويت نفس أبي طالب واشتد صوته، وقال: قد تـبين لكـم انّكـم أولى بالظلم والقطيعة. فنكسوا رؤوسهم ثمّ قالوا: انّما تأتوننا بالسحر والبهتان، وقام اولئك النفر في نقضها.. ثمّ انّ أبا طالب قال في أمر الصحيفة وأكل الارضة ما فيها من ظلم وقطيعة رحم أبياتاً منها:

وقـد كـان فـي أمـرِ الصـحيفةِ عـبرةٌ
متىٰ ما يـخبّر غـائبُ القـومِ يـعجب
مـــحا الله مـــنهم كـــفرَهُم وعـقوقَهم
وما نقموا مـن نـاطقِ الحـقِ مـعرب
فـأصبح مـا قـالوا مـن الأمـر بـاطلاً
ومن يختلق ما ليس بالحق يكذب[١]

انّ هذا الموقف من أبي طالب الذي غامر فيه بكل وجوده، وعشيرته من أجل النبي ﷺ ورسالته لا يمكن أن ينهض به انسان ـ مهما بـلغت عواطفه ـ إلّا اذا كان مؤمنا بالرسالة الالهية، وبالرسول الحامل لها، فأن عاطفة الرحم الماسة، وعلائق العشيرة لا تبلغ بصاحبها هذه الحدود ابداً، حتّىٰ يجازف بمكانته ووجوده وعشيرته.

١ـ الكامل في التاريخ لابن الاثير ج ٢ ص ٩٠.

عام الحزن

وبعد ان أفشل الله عزّ وجل المقاطعة وما فيها من مكائد المشركين في السنة العاشرة من البعثة فوجيء المسلمون بموت حامي الرسالة، وناصرها أبي طالب عليه السلام عن عمر تجاوز الثمانين عاماً، فجاء علي عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وآله، وألقى إليه بخبره، فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله بكاء شديداً، واشتد حزنه وبلاؤه.

ذكر اليعقوبي في تاريخه: انه لما قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله: ان أبا طالب قد مات، عظم ذلك في قلبه، واشتد له جزعه، ثم دخل، فمسح جبينه الأيمن اربع مرات، وجبينه الايسر ثلاث مرات، ثمّ قال صلى الله عليه وآله: يا عم! ربيت صغيراً وكفلت يتيماً، ونصرت كبيراً، فجزاك الله عني خيراً، ثمّ مشى بين يدي سريره، وجعل يعرضه، ويقول: وصلتك رحم، وجزيت خيراً [1] ثمّ أبّنه رسول الله صلى الله عليه وآله بهذه الكلمات الباكية «وا أبتاه! وا حزناه عليك، يا عمّاه!

كيف أسلو عنك، يامن ربيتني صغيراً، واجبتني كبيراً، وكنت عندك بمنزلة العين من الحدقة، والروح من الجسد».[2]

وأخرج البيهقي عن ابن عباس: «ان النبي صلى الله عليه وآله عاد من جنازة أبي طالب فقال: وصلتك رحم، وجزيت خيراً يا عم، وفي لفظ الخطيب البغدادي: عارض النبي صلى الله عليه وآله جنازة أبي طالب، فقال: وصلتك رحم،

١- الغدير للعلامة الأميني ج ٧ ص٢٧٣ نقلا عن اليعقوبي ج ٢ ص٢٦.

٢- شيخ الأبطح ٤٤، مسنداً عن المجلسي، عن المفيد، وعن ابن حجر في اصابته ٧:١١٢ من طبعة مصر عام ١٣٢٥، وقال: «بتصرف واختصار» نقلناه عن: أبو طالب مؤمن قريش لـ عبدالله الخنيزي ص٢٢٥.

جزاك الله خيراً يا عم».(١)

وقد اعتبر النبي ﷺ العام الّذي افتقد فيه عمّه أبا طالب وخديجة عليهما السلام عام حزن لعموم الامّة والدعوة ..

ويلاحظ انّ مراسيم تجهيز أبي طالب عليه السلام ودفنه لم تشر الى صلاة لرسول الله ﷺ عليه، مما جعل بعض الأغبياء الجهلة يعدون ذلك منقصة أو سبة، والحقيقة، ان صلاة الجنازة لم تشرع يومذاك كما يلاحظ ذلك من مصادر السيرة.(٢)

فهل يتصور أحد بعد هذا انّ النبي ﷺ يدعو بالخير، ويستغفر، ويتألم علىٰ غير مؤمن صادق الإيمان، وقد نهي حتّىٰ عن الاستغفار للمشركين في غير آية من كتاب الله تعالى، كما نهى عن مودة الكفار من قبل المؤمنين.

ان من يسدل الستار علىٰ هذه الحقائق، إنّما يسيء لرسول الله ﷺ، ويعتدي عليه لا علىٰ أبي طالب عليه السلام في واقع الحال، كما هو ينسب إلىٰ رسول الله ﷺ ما هو براء منه، والعياذ بالله تعالى.

١- تراجع المصادر التالية: دلائل النبوة للبيهقي، تاريخ الخطيب البغدادي ١٣: ١٩٦ تاريخ ابن كثير ٣: ١٢٥، تذكر السبط ص٦، نهاية الطلب للشيخ ابراهيم الحنفي كما في الطرائف ص٨٦، والاصابة ٤ـ ١١٦ وغيرها.

٢- ابن عساكر في أسنى المطالب ص ٢١، ودلائل النبوة للبيهقي، وسبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص ص٦، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٣: ٣١٤، والحلبي في سيرته ١: ٣٧٣، والسيد زيني دحلان في السيرة «هامش الحلبية ١: ٩٠» والبرزنجي في نجاة أبي طالب، وصححه، كما في أسنى المطالب ص ٣٥، وقال أخرجه أبو داود وابن خزيمة ..

شعر أبي طالب سِفر
الإيمان المفتوح

روى شمس الدين أبو علي فخار بن معد الموسوي «ت ٦٣٠ هـ) باسناده إلىٰ الإمام الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام، انه قال: «كان أمير المؤمنين عليه السلام يعجبه أن يروى شعر أبي طالب، وان يدوّن، وقال: تعلموه، وعلّموه أولادكم، فانّه كان علىٰ دين الله، وفيه علم كثير».[١]

ورغم قلة ما روي من شعر أبي طالب عليه السلام، فأن ما حفظه التاريخ ـ رغم تعسفه، وظلمه لأبي طالب ـ من شعره يعد غرة علىٰ جبين الزمان، فهو مرآة صافية لإيمان راسخ، وقلب ينبض بالحب لرسول الله صلى الله عليه وآله ووجدان يتّقد حرصاً علىٰ دين الله الخاتم، ورباطة جأش وحماسة، يقلّ نظيرها عند الرجال.

وهذه مجموعة من منظوماته الرسالية التي انشدها في مناسبة وأُخرى.

لن يصلوا اليك :

فهذه أبيات لأبي طالب تمتلىء حماسة، وتلتهب حرصاً علىٰ الاسلام ورسوله، كما تعبر عن وجدان عامر بالإيمان، قالها سلام الله عليه حين جاءته قريش تهدده بضرورة أن يكف النبي صلى الله عليه وآله عن دعوته، وعن ثلب الأوثان الّتي ظلوا عليها عاكفين، فلمّا رأى اصرار النبي صلى الله عليه وآله علىٰ

١ ـ الحجة على الذاهب إلىٰ تكفير أبي طالب ص ١٣٠، ورواها الشيخ الأميني في الغدير ٧: ٣٩٥ عن مصادره.

الإستمرار في الدعوة رغم كيد الكائدين وبغي الحاسدين وقال له: والله لا أسلمك لشيء ابداً، نسج من موقفه شعراً، فقال:

والله لن يـــصلوا إليك بـــجمعِهم
حــتّىٰ اوسّـدَ فـي التـراب دفـينا
فاصدع بأمرك، ما عليكَ غضاضةٌ
وأبشـر بـذاك، وقـرَّ مـنك عـيونا
ودعوتَني، وعلمتُ: أنّك نـاصحي
ولقد صدقتَ، وكنتَ ـ ثمّ ـ امـينا
ولقـد عـلمتُ بـأنّ ديـن مـحمدٍ،
مـن خـيرِ أديـان البـرية ديـنا(١)

فهل يتصور عاقل ان هذه الكلمات التي تقطر ايماناً واخلاصاً للنبي (ص) ورسالته تصدر من مشرك أو كافر برسالة محمد (ص)؟ «انـها لا تعمي الأبصار، ولكن تعمىٰ القلوب التي في الصدور».

١ - الحـديدي ٣:٦٠٦، والسـيرة النـبوية ٨٥ و١:١٩٧، وثـمرات الأوراق ٢:٤، والعـباس ٢٢،٢٣، وهــاشم وامـية ١٦٧، والكشـاف ١:٤٤٨ (٢:١٠)، وتـذكرة الخـواص ٩، ومـعجم القـبور ١٨٦، والمناقب ٣٤، وديوان أبي طالب ٧، وأعـيان الشـيعة ٣٩:١٢٨، والبـيت الأوّل فـي الحـبية ١:٣٢٢، والأخيران في الاصابة ٤:١١٦ وأسندت في الحجة ٦٣ الى مصادر عـدّة، وفـي شـيخ الأبـطح ٢٧، مسندة لعدة مصادر، وفي ص٨٨ ايضا. وأرجعت في الغدير ٧:٣٣٤، الى عدة مراجع، وذكر فـيه: ان الثعلبي ـ في تفسيره ـ رواها، وقال: (قد اتفق على صحة نقل هذه الأبيات عن أبي طـالب: مـقاتل، وعبدالله بن عباس، والقسم من محضرة، وعطاء بن دينار). كما ان البرزنجي عدّه من كلام أبي طالب المعروف، وقد أخرجه البيهقي في الدلائل ـ كما يقول شارح الكشاف ٢:١٠ ـ من طريق ابن اسحاق، عن يقعوب بن عتبة بن مغيرة بن الأخنس ـ نقلا عن كتاب: أبو طالب مؤمن قريش، عبدالله الخنيزي ص ١٦١.

ألا قل لعمرو، والوليد ومطعم:

لقد ارتجل ابياتاً عفو الخاطر حينما رأى ان المطعم بن عدي ـ وكان من أحلافه ـ قد صحب وفد مشيخة قريش الّذين جاؤوا لأبي طالب عليه السلام وحدّثوه بشأن استبدال النبي صلى الله عليه وآله بعمارة بن الوليد في قصة معروفة أشرنا اليها فيما مضىٰ، فلمّا وجد ان مطعماً قد تظاهر عليه مع قريش، ووصف قريشاً بالإنصاف أنشد أبو طالب عليه السلام هذه الأبيات:

ألا قل لعمروٍ، والوليدِ ومِطعمِ
ألا ليتَ حظي من حياطتِكم بكرُ[1]

من الخور حبحاب، كثير رغاؤه
يرشّ على الساقين من بولهِ قطرُ[2]

تخلّف خلف الورد ليس بلاحق
اذا ما علا الفيفاء، قيل له: وبرُ[3]

أرى اخوينا من أبينا وأمنا
اذا سئلا، قالا: إلىٰ غيرنا الأمرُ!

بلى! لهما أمر، ولكن تجرجما
كما جرجمت من رأس ذي علق صخرُ[4]

---

١ – البكر: الفتى من الابل.
٢ – الخور: الضعف. الحبحاب: القصير، الدميم: السيء الخلق.
٣ – الفيفاء: المفازة لاماء فيها. الوبر: دويبة، تشبه السنور، وهي دونه.
٤ – تجرجم: سقط وانحدر. وذو علق: جبل لبني أسد، لهم فيه يوم علىٰ ربيعة بن مالك.

أخص خصوصاً: عبد شمس ونوفلاً
هما نبذانا، مثل ما ينبذُ الجمرُ
هما أغمزا للقوم في أخويهما،
فقد اصبحا ـ منهم ـ أكفهم صفرُ
هما أشركا في المجد، من لا أباله
من الناس، الاّ ان يرسَّ له ذكرُ[1]
وتيمٌ، ومخزومٌ، وزهرةُ، منهم
وكانوا لنا مولىً، اذا بني النصرُ
فوالله لا تنفعكَ منّا عداوةٌ،
ولا منهم، ما كان من نسلِنا شفرُ[2]
فقد سفهت أحلامهم وعقولهم
وكانوا كجفر، بئس ما صنعت جَفرُ!
وما ذاك .. إلّا سؤدد خصّنا به
اله العباد، واصطفانا له الفخرُ[3]
رجال تمالوا حاسدين، وبغضة
لأهل العلى، فبينهم ـ أبداً ـ وتر

١- رس الحديث، حدّث به في أسرار.

٢- يقال: ليس هنا شفر ـ أي: ليس هنا أحد.

٣- ذكرها ابن هشام ـ في سيرته ص ١:٢٨٦ ـ عدّ هذه الابيات الثلاثة، وقال: تركنا منها بيتين أقذع فيهما، وذكرها الأميني ـ في الغدير ص ٧:٣٦١، وذكر قول ابن هشام، وعقب عليه: حذف ابن هشام منها ثلاثة أبيات لا تخفى علىٰ أحد غايته الوحيدة .. الخ. وذكر ـ بعد ـ هذه الثلاثة.

«وليـــد» أبـــوه، كـــان عـــبداً لجـــدّنا
الى عـلجة زرقـاء حـال بـها السـحر[١]

لآل محمد راع حفيظ !

افتقد أبو طالب رسول الله ﷺ مرّة، في وضع متوتر جداً بين النـبي ﷺ وقريش، فغلب الظنّ عند أبي طالب عليه السلام، انّ قريشاً اغـتالت النـبي ﷺ، فبعث من يفتّش عن النبي ﷺ، وأمر شباب بني هاشم أن يحتاطوا، حيث أمرهم بقتل كلّ زعماء قريش، إذا تيقّن من اغـتيال النـبي ﷺ أو تعرّضه إلى سوء منهم، ورسم خطة متقنة للانتقام من المشركين، حيث أمر كل شاب أن يخفي سلاحه، ويجلس عند أحد رؤساء قريش أو قريب منه، ينتظر الأوامر، ولمّا عثر أبو طالب عليه السلام على النبي ﷺ وعلي بن أبي طالب عليه السلام يصليان، كشف خطته لقـريش وأمـر شـباب بـني هـاشم أن يكشفوا عن أسلحتهم تحدّياً لمشيخة قريش قائلاً لهم:

«والله لو قتلتموه ما أبقيت منكم أحداً، حتّىٰ نتفانى نحن وأنتم» ثمّ نظم أبياتاً يعلن فيها رعايته وصونه للرسول ﷺ ودفاعه عنه ويبين فـضائله «صلوات الله عليه وآله»، وهذه هي الأبيات الّتي حـفظتها كـتب الأدب

١- يريد بالوليد: الوليد بن المغيرة، الّذي كان ابوه عبدا لجده، كـان الوليـد هـذا، مـن المسـتهزئين بالرسول ﷺ وهو من بين الّذين مشوا إلىٰ أبي طالب، مع من مشى من قريش بشأن الرسول، وهو الّذي عناه الله تعالى في قوله: «ذرني ومن خلقت وحيداً» فقد كان يسمى: الوحيد (نقلاً عن: أبو طالب مؤمن قريش، عبدالله الخنيزي ص١٦٨، عن مصادره.

والتاريخ:

ألا أبلغ قريشاً، حيث حلّت
وكل سرائر منها غرورُ
فانّي والضوابح عاديات
وما تتلو السفاسرة الشهورُ[1]
لآلِ محمدٍ راعٍ حفيظٌ ..
وودُّ الصدرِ منّي والضميرُ
فلستُ بقاطعٍ رحمي وولدي
ولو جرّت مظالمَها الجزورُ
أيأمرُ جمعَهم أبناءُ فهرٍ
بقتلِ محمدٍ..؟ والأمر زورُ
فلا ـ وأبيكَ! ـ لاظفرتْ قريشٌ
ولا أمّت رشاداً، اذ تشيرُ
بُنيَّ أخي، ونوطُ القلبِ منّي،
وأبيضُ، ماؤهُ غَدقٌ كثيرُ
ويشرب بعده الولدان رياً
وأحمدُ قد تضمَّنهُ القبورُ

١- يروى: «فاني والسوابح كل يوم»، و«فاني والضوابح كل يوم»، والسفاسرة ـ جمع سفسير، وهو: القيّم بالأمر، المصلح له، العالم بالاصوات، الرجل الظريف، الحداد الماهر ـ الخ ـ ولكن العلامة الأميني، ذكر انّها أصحاب الأسفار: الكتب. والشهور ـ جمع شهر وهي العلماء. (نقلاً عن: أبو طالب مؤمن قريش، الخنيزي ص١٧٢).

أيا ابن الأنفِ ـ أنفِ بـني قـصي ـ
كــأن جــبينكَ القــمرُ المـنيرُ (١)

أنت النبي محمد!

وفي أحد الأيام رأت قريش رسول الله ﷺ يناجي ربّـه فـي صلاة خاشعة، فألقت إلىٰ عبدالله بن الزبعرى مسؤولية الإعتداء على الرسـول ﷺ، فوجد دماً وفرثاً لجزور، فحمله، وألقاه على النبي ﷺ فلمّا انفتل الرسول ﷺ من صلاته شكا إلىٰ عمّه ما لاقاه، فجاء أبو طالب وسـيفه علىٰ عاتقه، حتّىٰ بلغ مكان الحادثة، فلمّا بصروا به حـاول «المـلأ» أن يهربوا، إلّا انّ صوت أبي طالب قد سمَّرهم في أماكنهم: «والله لئن قـام رجل جلَّلته بسيفي».

ثمّ جاء لابن الزبعري فوجأ أنفه، ثمّ أخذ من الدم والفرث وأمرّه علىٰ وجوه القوم ولحاهم، وثيابهم، ووسعهم اهانة وسبّاً، ثمّ التفت إلىٰ رسول الله ﷺ قائلا: أرضيت؟ ثمّ أنشد:

أنتَ النـَّـبيُ مـــحمد ... قـــرمٌ أغـــرٌّ، مســـوّدُ
لمســـــوّدين أكـــارم ... طـــابوا، وطـــابَ المـــولدُ
نـــعم الارومـــةُ أصـــلُها ... عَـــمرو الحـطيم الأوحـدُ
هشمَ الربيكة فـي الجـفانِ، ... وعـــيشُ مكـــةَ أنكـــدُ (٢)

---

١ ـ الغدير مسندة، ص ٣٥٠، ٣٥١ ج٧، والأعيان: ٣٩:١٤٩.

٢ ـ هشم الثريد: كسر الخبز، وفتّه، وبلّه بالمرق، حتّىٰ يكون ثريداً، الربيكة: الزبدة مختلطة بـاللبن. الجفان، جمع جفنة ـ بفتح اوّله ـ القصعة الكبيرة. الأنكد: العسر، القليل الخير.

فَـــجَرتْ بــذلك ســـنةٌ ... فـــيها الخــبيزة تــثردُ
ولنــا الســقايةُ للــحجيجِ ... بـــها يــماث العــنجدُ(١)
والمــأزمان ومــا حــوتْ ... عـــرفاتُها، والمســجدُ(٢)
انّـــىٰ تـــضامُ، ولم أمتْ ... وأنـا الشـجاعُ العِـربدُ؟!(٣)
وبـــطاحُ مكــة لا يــرىٰ ... فـــيها نـــجيعٌ أســـودُ
وبـــنو أبـــيكَ كـأنّهم ... أســدُ العـرينِ تـوقدوا؟
ولقـــد عـــهدتُك صـــادقاً ... فـــي القــولِ لا تــتزيّدُ
مـا زلت تـنطقُ بـالصوابِ ... وأنت طـــفلٌ أمـــردُ(٤)

فهل هناك قول أصرح من هذه الشهادة لرسول الله ﷺ بالنبوة من عند الله تعالى التي يجهر بها أبو طالب بصوت عال مجلجل؟

انّا غضبنا لعثمان بن مظعون!

وفي جملة تعريض الصفوة المؤمنة، من قبل قريش إلى الأذى والتنكيل تعرض الصحابي عثمان بن مظعون الجمحي في جملتهم إلى الأذى والتعذيب، فلمّا سمع أبو طالب عليه السلام بهذا العمل الوحشي، ثارت

١- يماث: يذاب. العنجد: بفتح وضم أوله ـ الزبيب، او قسم خاص منه، او ذو اللون الأسود منه.

٢- المازون: مضيق بين: جمع وعرفة، وبين: مكة ومنىٰ.

٣- العربد ـ بكسر العين، وكسر وفتح الباء ـ الشديد من كل شيء وذكر الافاعي.

٤- الشرح الحديدي ٣:٣١٥، والحجة ٧٢ ـ بزيادة بيت ـ وشيخ الابطح ٢٨، وهاشم وأمية ١٧٣، ١٧٤، وديوان أبي طالب ١٢، ١٣، والأعيان ٣٩:١٤٣، والغدير ٧:٣٣٦ (نقلا عن: أبو طالب مؤمن قريش، الخنيزي ص ١٧٥).

ثائرته، فوقف مستنكراً هذا العَمل الجبان:

أمــــنْ تـــذكرِ دهــر، غـــيرِ مـــأمونِ
أصــبحت مكـــتئباً، تـــبكي كـمحزونِ؟
أم مــــن تــــذكرِ أقــوامٍ ذوي ســفهٍ
يـغشون بـالظلمِ مـن يـدعو إلى الديـنِ؟
ألا تــــــرونَ ـ أذل اللهُ جــــمعَكم ـ
انّـــا غــضبنا لعــثمانَ بــنِ مــظعونِ؟
وتــمنع الضــيمَ، مــن يـبغي مـضيمتنا
بكـــل مــطرد ـ فـي الكـف ـ مسنونِ
ومــــرهفاتٌ، كــأن المــلحَ خــالطَها
يشــفي بــها الداء، مـن هـامِ المجانينِ
حــتّىٰ تــقرَ ـ رجـالٌ لا حـلومَ لهـا ..
بــعد الصــعوبةِ، بــالأسماحِ واللــينِ
أو تـــؤمنوا بكــتابٍ مــنزلٍ عــجبٍ
عـلىٰ نـبي كـموسى، أو كـذي النـون[1]

أبو طالب يدعو النجاشي إلىٰ الاسلام

وبعد هجرة المؤمنين الاولى إلى الحبشة بقيادة جعفر بن أبي طـالب

---

١ - الحديدي ٣:٣١٣، والغدير ٧:٣٣٥، وهاشم وأمية ١٦٤، وشيخ الأبطح ٣٠، وففيه زيادة، وديوان أبي طالب ٩ـ١٠ ـ بزيادة ـ والأعيان ٣٩:٤٢، (نقلا عن: أبو طالب مؤمن قريش، الخنيزي ص ١٧٨).

عليه السلام ومحاولة قريش أغراء النجاشي بهم، أرسل إليه أبو طالب عليه السلام قصيدة هذه أبياتٍ ، منها:

أتعلم ـ ملك الحبش! ـ أن محمدا
نبيٌ كموسى، والمسيحِ ابنِ مريمِ[١]
أتى بالهدى، مثل الّذي أتيا به
فكلٌ ـ بأمرِ الله يهدي ويعصمِ
وانّكُمُ تتلونَهُ في كتابِكم ...
بصدقَ حديثٍ، لا حديثَ الترجمِ
فلا تجعلوا لله نِداً، وأسلموا
فان طريقَ الحقِ، ليسَ بمظلمِ
وانكَ ما تأتيك منّا عصابةٌ
لقصدك، الاّ أُرجِعوا بالتكرّمِ[٢]

كذبتم وبيت الله !

ما أن بلغ أبا طالب عليه السلام ما عزمت عليه قريش من أمر صحيفة المقاطعة والحصار حتّىٰ نظم هذه القصيدة يرد بها علىٰ كيدهم ويعلن حقيقة موقفه من النبي صلى الله عليه وآله ودعوته، وهذه بعض أبياتها:

١- في رواية: «وزير لموسى» ـ ولكنها غير صحيحة.

٢- الحجة ٥٦، ٥٧، والبحار ٦:٥٢١، وايمان ابي طالب ١٨، وشيخ الأبطح ٨٧، ٨٨، ومجمع البيان ٧:٣٧ ـ بدون البيت الاخير ـ والعباس ٢٢، والغدير ٧:٣٣١، والأعيان ١٦:١٩، عدا البيت الرابع، مع اختلاف في بعض الألفاظ.

ألم تــــعلموا ان القـــــطيعةَ مــأثمٌ
وأمــرُ بــلاءٌ قــاتمٌ، غــيرُ حــازمِ؟!
وأن ســبيلَ الرشـدِ، يُـعلمُ فـي غـدٍ؟
وأن نــعيمَ الدهــرِ، ليس بــدائــمِ!
فــلا تسـفَهنْ أحـلامُكم فـي مـحمدٍ
ولا تــتبعوا أمــرَ الغــواةِ الأشـاتمِ!
تــــمنيتُمُ أن تــــقتلوهُ..؟ وانّـــما
أمــانيكم ـ هـذي! ـ كـأحلامِ نـائمِ!
وانّكُــــــمُ ـ واللهِ! ـ لا تــــقتلونَهُ
ولما تروا قطف اللحىٰ والغـلاصمِ![1]

* * *

زعــمتم بــأنا مسـلمونَ مـحمداً ...
ولمــا نــقاذِفْ دونــه ونــزاحـمِ؟
من القومِ مفضال، أبـيٌّ عـلى العِـدى
تمكن فـي الفـرعين، مـن آل هـاشمِ
أمــينٌ، حــبيبٌ، فـي العـبادِ مسوّمُ
بــخاتمِ ربٍ، قــاهرٍ، فـي الخـواتـمِ

١- يروى الجماجم ـ وقد ذكر الأميني ـ بعد هذا ـ بيتين، لم نذكرهما، نقلا عن: مؤمن قريش ص ١٨٣.

يــرى النـاسُ بـرهاناً عـليهِ، وهـيبةً
ـ وما جاهلٌ فـي قـومهِ، مـثلُ عـالمِ
نــبيٌ، أتـاهُ الوحـيُ مـن عـندِ ربـهِ
ومن قال: لا .. يقرعْ بها سنَّ نـادمِ[1]

علىٰ فراش المنية

وحين حضرت أبا طالب عليه السلام الوفاة، أوصى وصيته المشـهورة الّـتي أشرنا إليها فيما مضى من حديث، ثمّ اتبعها بهذه الأبيات، حيث خـصّ اربعة من بني هاشم بوجوب بذل النصرة لرسول الله صلى الله عليه وآله وتقديم الغالي والنفيس من أجله:

أوصي بنصرِ نـبيِ الخـير اربـعةً :
ابني علياً، وعـمَ الخـيرِ عـباسا ..
وحمزةَ، الأسَـد المـخشي صـولَتَه
وجعفراً ـ ان تذودوا دونَـهُ النـاسا
كونوا ـ فداء لكم امي، وما ولدتْ ـ
في نصر أحمدَ، دون الناسِ أتراسا

---

١ ـ ذكر هذه القطعة ـ عدا البيتين الاولين ـ الحديدي فـي شـرحـه ٣:٣١٣، وذكـرت فـي: الحـجة ٤٣، ٤٤، وشيخ الابطح ٣٨، ٣٩، وهاشم وأمية ١٧٣، والغدير ٣٣١، ٣٣٢:٧، وذكرت خمسة منها في إيمان ابي طالب ١٤، وذكرت الثلاثة الأخيرة ـ كشاهد ـ في العباس ٢٢، والأعيان ١٤١، ١٤٢:٣٩ عدا البيتين الاولين.

بكـلِ أبـيضَ مـصقولٍ عـوارضُـهُ
تخالُهُ في سوادِ الليـلِ مـقباسا(١)

هذه بعض نماذج منتخبة من شعر أبي طالب عليه السلام الّتي تـجسد روح الايمان والصدق والتمسك بالحق التي امتاز بها هذا الصحابي المظلوم..

١- الغدير «مسندة» ٢٤٣ و ٧:٤٠١، وذكر البيتان الاولان في إيمان أبي طالب ١٧، وذكرت الثلاثة في الحجة ٩٧، ٩٨، وأرجعها الشارح لبعض المصادر، وذكرت في: المناقب ١:٣٥، والأعـيان ١٢٠، ٢:١٢١، و ٣٥:١٤٥، ومجمع البيان ٧:٣٧.

لماذا اتهم أبو طالب؟

من خلال الدراسة الفاحصة لسيرة أبي طالب عليه السلام، نجد ان هذا الرجل الصحابي الهاشمي الّذي آوى ونصر، وثبت بصموده أركان الاسلام، قد تعرض لحملة عدوانية عنيفة، شملت سيرته في حياته وبعد مماته ولا تزال!

وقد شاركت في هذه الحملة العدوانية فئات سياسية ومحدثون ورواة ومفسرون وقصاصون، فما هي دوافع هذه الحملة العدوانية؟

من خلال مطالعة لبصمات المخططين لهذه العملية ومنفذيها، نجد ان الحملة علىٰ أبي طالب عليه السلام هي جزء من الحملة على الرسالة والرسول صلى الله عليه وآله، ووصيه علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد جرت ـ تاريخيا ـ منذ بداية حكم بني أمية الذي ابتدأ بمعاوية بن أبي سفيان ..

ودوافع ذلك التحرك الخبيث الّذي بلوره معاوية، ونفذ الجزء الأكبر منه تتلخص في مقاطع هذه الرواية وألفاظها الحاقدة، فقد حدث مطرف عن والده المغيرة بن شعبة، فقال:

«دخلت مع أبي علىٰ معاوية، فكان أبي يأتيه، فيتحدث معه، ثمّ ينصرف أبي فيذكر معاوية وعقله ويعجب بما يرى منه، اذ جاء ذات ليلة، فأمسك من العشاء، ورأيته مغتماً فانتظرته ساعة، وظننته انه لأمر حدث فينا، فقلت: مالي أراك مغتماً منذ الليلة؟ فقال لي: يا بني جئت من عند اكفر الناس وأخبثهم، قلت: وما ذاك؟ قال: قلت له وقد خلوتُ به: انك قد بلغت سناً يا أمير المؤمنين، فلو اظهرت عدلاً، وبسطت خيراً، فانك قد

كبرت ولو نظرت إلىٰ اخوتك من بني هاشم، فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، وانّ ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه، فقال: هيهات هيهات! أي ذكر ترجو بقاءه؟ ملك اخوتيم فعدل وفعل ما فعل، فما عدا ان هلك حتّىٰ هلك ذكره، الاّ ان يقول قائل: أبو بكر، ثمّ ملك اخو عدي، فاجتهد وشمر عشر سنين، فما عدا ان هلك حتّىٰ هلك ذكره! الاّ ان يقول قائل: عمر، وان ابن أبي كبشة[١] ليصاح به كل يوم خمس مرات (أشهد أنّ محمّداً رسول الله) فأي عمل يبقى، وأي ذكر يدوم بعد هذا لا أبا لك! لأمر الله الاّ دفناً دفناً).[٢]

وقد بدأ تنفيذ هذا المخطط الوصولي الاسود من خلال خطوات عملية مجرمة اعتمدها معاوية بن أبي سفيان من أجل تنفيذ مشروعه الخطير ذاك ..

ونذكر بعض ملامح تلك الخطوات التنفيذية المراد منها تحقيق عموم المخطط الاسود، الّذي كان يهدف معاوية من ورائه أساساً (دفن ذكر رسول الله ﷺ) كما كشف ذلك السر المكتوم لرفيق دربه المغيرة بن شعبة في غفلة منه ..

وحيث انه لم يكن بوسعه ان يحقق طموحه الخبيث دفعة واحدة، فليحقق ما يمكن تحقيقه اذن ..

١- بعد هزيمة المسلمين في معركة أُحد، اطلق أبو سفيان على الرسول ﷺ لقب (أبي كبشة) (ارجع الى: البلاذري: انساب الاشراف ١/٩١ و ٣٢٧، المقريزي: امتناع الأسماع ٨٧و١٥٨).

٢- شرح النهج لابن أبي الحديد ٥/١٢٩ـ١٣٠، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم و ١/٤٦٣ ط قديمة، مروج الذهب ـ ٣/٤٥٤ ط دار الاندلس، بيروت، والموفقيات للزبير بن بكار: ٥٧٦ ط العراق.

فقد كرّس عشرات الآلاف من منابر الجمعة لتعلن امام المسلمين لعن علي بن أبي طالب عليه السلام والبراءة منه، وثلبه بمختلف الطعون، وهكذا شن معاوية حملة لتزوير حديث رسول الله صلى الله عليه وآله، فغيَّر ما غيَّر وبدَّل ما بدَّل، وأحدث ما أحدث علىٰ يد حفنة ممن يستأكلون بالدين من أمثال: سمرة بن جندب، وعمرو بن العاص، وأبي هريرة الدوسي وعروة بن الزبير وغيرهم لوضع ما يحلو لمعاوية من حديث علىٰ لسان النبي صلى الله عليه وآله، وهذه مفردات تفصيلية لتنفيذ مشروع معاوية كما حفظها تاريخ تلك الحقبة السوداء من تاريخ المسلمين:

روى أبو الحسن علي بن محمد بن أبي سيف المدائني في كتاب «الأحداث» قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة[١]: (أن برئت الذمّة ممّن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته)، فقامت الخطباء في كل كورة، وعلىٰ كل منبر، يلعنون علياً ويبرؤون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة، لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام، فاستعمل عليهم زياد بن سمية، وضم إليه البصرة، فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف، لأنّه كان منهم أيام علي عليه السلام، فقتلهم تحت كل حجر ومدر، وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم علىٰ جذوع النخل، وطردهم وشرّدهم عن العراق، فلم يبقَ بها معروف منهم، وكتب معاوية إلىٰ عمّاله في جميع

١- عام الجماعة هو عام ٤١ هـ، الّذي تسلّم معاوية فيه السلطنة بعد صلحه مع الحسن السبط عليه السلام وسقوط دولة الخلافة الاسلامية في الكوفة.

الآفاق: (ألّا يجيزا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة).

وكتب إليهم: (أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته، والذين يروون فضائله ومناقبه، فأدنوا مجالسهم وقربوهم وأكرموهم واكتبوا لي بكل ما يروي كل رجل منهم، واسمه واسم أبيه وعشيرته).

ففعلوا ذلك حتّىٰ اكثروا في فضائل عثمان، ومناقبه، لمّا كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات والكساء والحباء والقطائع، ويفيضه في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك في كل مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا، فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملاً من عمّال معاوية، فيروي في عثمان أو منقبة إلّا كتب اسمه وقرّبه وشفّعه، فلبثوا بذلك حينا.

ثمّ كتب إلىٰ عمّاله ان الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية (فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة الخلفاء الاولين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب الاّ وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فان هذا أحب اليّ وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله).

فقرئت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجدّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتّىٰ أشدوا بذكر ذلك على المنابر، والقي إلى معلمي الكتاتيب فعلموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع حتّىٰ رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن،

وحتّىٰ علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله.

ثمّ كتب إلىٰ عمّاله نسخة واحدة إلىٰ جميع البلدان: (انظروا من قامت عليه البينة انّه يحب علياً وأهل بيته، فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه، وشفع ذلك بنسخة اخرى: من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم، فنكلوا به، واهدموا داره).

فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق، ولا سيما بالكوفة، حتّىٰ ان الرجل من شيعة علي عليه‌السلام ليأتيه من يثق به، فيدخل بيته، فيلقي إليه سرّه، ويخاف من خادمه ومملوكه، ولا يحدثه حتّىٰ يأخذ عليه الايمان الغليظة، ليتمكن عليه، فظهر حديث كثير موضوع، وبهتان منتشر، ومضى علىٰ ذلك الفقهاء والقضاء والولاة، وكان أعظم الناس في ذلك بلية القرّاء المراءون والمستضعفون، الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم، ويقربوا مجالسهم، ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل حتّىٰ انتقلت تلك الاخبار والاحاديث الى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان، فقبلوها ورووها، وهم يظنون انها حق، ولو علموا انها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها.

فلم يزل الامر كذلك حتّىٰ مات الحسن بن علي عليه‌السلام، فازداد البلاء والفتنة فلم يبقَ أحد من هذا القبيل الاّ وهو خائف علىٰ دمه، أو طريد في الأرض.

ثمّ تفاقم الامر بعد قتل الحسين عليه‌السلام، وولي عبدالملك بن مروان،

فاشتد على الشيعة، وولى عليهم الحجاج بن يوسف الثقفي، فتقرّب إليه أهل النسك والصلاح والدين ببغض علي وموالاة اعدائه، وموالاة من يدّعي من الناس انهم أيضاً اعداؤه، فاكثروا في الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم واكثروا من الغض من علي عليه السلام وعيبه، والطعن فيه، والشنآن له، حتّىٰ ان انساناً وقف للحجاج ـ ويقال: انّه جد الأصمعي عبدالملك بن قريب ـ فصاح به: أيّها الأمير انّ أهلي عقوني فسموني عليّاً، وانّي فقير بائس، وأنا إلىٰ صلة الأمير محتاج، فتضاحك له الحجاج، وقال: للطف ما توسّلت به قد ولّيتك موضع كذا.

وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه ـ وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم ـ في تاريخه ـ ما يناسب هذا الخبر، وقال: ان أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيّام بني امية تقرباً اليهم بما يظنون انّهم يرغمون به أُنوف بني هاشم.[١]

فمن خلال هذه الوثائق التاريخية الّتي تقطر ظلماً وعدواناً يتضح لك عمق التخريب الّذي لحق بالثقافة العامة للامة ومخاطر هذا التخريب الّذي امتد لعموم الناس، ومختلف مصادر التثقيف والتوجيه خصوصاً المحدثون والرواة ـ وكان شأنهم يومئذ عظيماً اذ كانوا يومذاك مصدر الهام الامة وقاعدة التوجيه فيها ـ.

وهكذا نشأت معلومات ووضعت افكار وتصورات لا أساس لها من الصحة، وصيغت ثقافات وقيم لا وجود لها في دين أو واقع، وكان كثير

١ـ شرح النهج لابن أبي الحديد ج ١١ ص ٤٤ـ٤٦.

من تلك المعلومات والأفكار قد قيلت علىٰ لسان النبي ﷺ لتأخذ بعداً مقدساً، عند الناس، وتكون ديناً يدين به الخلق.

واذا اعدنا إلىٰ الاذهان ان السنّة الشريفة قد صدرت قرارات من الخلفاء تمنع من نشرها وتدوينها منذ الأيام الاولى لخلافة أبي بكر حتّىٰ خلافة أبي جعفر المنصور، الأمر الّذي أعطى فرصاً كافية جداً لصياغة «سنة» ما أنزل الله تعالى بها من سلطان وافتعال أخبار وأحاديث لم ينطق بها النبي ﷺ علىٰ الإطلاق حتّىٰ اذا اطلقت يد التدوين للسنة في عصر أبي جعفر المنصور دوّنت الأخبار والأحاديث الّتي رعتها سياسة الخلفاء وأصرّت علىٰ اشاعتها بالترغيب والترهيب ..

أقول: إذا أعدنا إلىٰ الأذهان هذه الحقائق تتجلىٰ أمامنا ضخامة الجريمة الثقافية والعلمية الّتي ارتكبت بحق هذا الدين، وحجم التشويه الّذي تعرّضت له آثار النبوة، علىٰ انّنا في المقابل قد ندرك أهمية المعلومات الإيجابية الّتي بقي التاريخ محتفظاً بها عن أهل البيت عليهم السلام رغم ضخامة المؤامرة وحجم الإرهاب الّذي صبه الحكّام الظالمون علىٰ حملة الحق ومصادر النور في هذه الامّة.

فرواية حديث ايجابي عن أهل البيت عليهم السلام كان يسوق صاحبه إلى الموت وهدم الدار وتشتيت الاسرة بواسطة الحكام والولاة اذا بلغتهم وشاية حول هذا الموضوع من صبي مغرر به أو خادم مخدوع او امرأة حمقى!

لقد كان أبو طالب ـ باعتباره سيّد بني هاشم، وناصر النبي ﷺ ووالد

علي عليه السلام ـ أولىٰ بتوجيه السهام نحوه من قبل المخطط الكبير الّذي صممته حكومة الطلقاء في الشام، ونفذته مؤسسات اعلامية، ورواة، ومؤرخون، ومنابر مختلفة، في دولة تمتد من المحيط إلى المحيط، وعلى مدى قرن من الزمان!

وقد ابتنيت سياسة بني أمية علىٰ تكريس النقاط التالية بشأن أبي طالب:

ـ التأكيد علىٰ انّه لم يسلم وقد مات مشركاً بمختلف الوسائل.

ـ ابتداع أحاديث ونسبتها للرسول صلى الله عليه وآله تؤكد علىٰ كفر أبي طالب.

ـ الإستعانة ببعض الآيات النازلة في الكفّار، وتزييف أسباب نزولها، لتكون مختصّة بأبي طالب.

ـ وغير ذلك من صور التضليل والخداع.

ولنذكر أمثلة ممّا ابتدعه بنو امية والمستأكلون بالدين من عملائهم.

قال تعالى: «وهم ينهون عنه وينأون عنه، وان يهلكون إلّا أنفسهم وما يشعرون» (الانعام ٢٦).

أخرج بعض من المفسّرين عن سفيان الثوري عمّن ذكره، انّ هذه الآية نزلت في أبي طالب لأنّه كان ينهى عن ايذاء الرسول صلى الله عليه وآله ولكنه ينأى عن دخول الإسلام.

وقد اخرج هذه الرواية وأمثالها أمثال الطبري في تاريخه وغيره، فقد أخرج الطبري وغيره من طريق سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عمّن سمع من ابن عبّاس قال: انّها نزلت في أبي طالب، ينهى عن أذى

رسول الله ﷺ ان يؤذىٰ، وينأىٰ أن يدخل في الاسلام.[١]

وقال القرطبي في تفسيره[٢] حول تفسير هذه الآية ما يلي: «هو عام في جميع الكفّار أي ينهون عن اتباع محمد ﷺ وينأون عنه، عن ابن عباس والحسن، وقيل: هو خاص بأبي طالب ينهى الكفّار عن اذاية محمد ﷺ ويتباعد من الايمان به، عن ابن عباس ايضا. روى أهل السير قال: كان النبي ﷺ قد خرج إلى الكعبة يوماً وأراد أن يصلي، فلمّا دخل في الصلاة قال ابو جهل «لعنه الله»: من يقوم إلىٰ هذا الرجل فيفسد عليه صلاته؟ فقام ابن الزبعرى فأخذ فرثاً ودماً فلطخ به وجه النبي ﷺ فانفتل النبي ﷺ من صلاته، ثمّ أتىٰ أبا طالب عمّه فقال: يا عمّ ألا ترى إلىٰ ما فعل بي؟ فقال أبو طالب: من فعل هذا بك؟ فقال النبي ﷺ: عبدالله بن الزبعرى، فقام أبو طالب ووضع سيفه علىٰ عاتقه ومشىٰ معه حتّىٰ أتى القوم فلمّا رأوا أبا طالب قد أقبل جعل القوم ينهضون، فقال أبو طالب: والله لئن قام رجل لجللته بسيفي فقعدوا حتّىٰ دنا اليهم، فقال: يا بنيَّ من الفاعل بك هذا؟ فقال: عبدالله بن الزبعرى، فأخذ أبو طالب فرثاً ودماً فلطخ به وجوههم ولحاهم وثيابهم وأساء لهم القول فنزلت هذه الآية: وهم ينهون عنه وينأون عنه، فقال النبي ﷺ: يا عم! نزلت فيك آية، قال: وما هي؟ قال تمنع قريشاً أن تؤذيني، وتأبىٰ ان تؤمن بي، فقال أبو طالب:

١- ابن سعد في طبقاته ١:١٠٥، تاريخ الطبري ٧:١١٠، وتفسير ابن كثير ٢:١٢٧، الكشاف للزمخشري ١:٤٤٨، وتفسير الخازن ٢:١١ نقلا عن الغدير ج٨ ص٣.

٢- القرطبي ٦:٤٠٦ نقلا عن الغدير ٨:٣ـ٤.

والله لن يــــصلوا اليك بــجمعهم
حــتّى أوسّـد فـي التـرابِ دفـينا

فقالوا: يا رسول الله! هل تنفع نصرة أبي طالب؟ قال: نعم دفع عنه بذاك الغل، ولم يقرن مع الشياطين، ولم يدخل في جب الحيات والعقارب، انّما عذابه في نعلين من نار يغلي منهما دماغه في رأسه، وذلك أهون أهل النار عذاباً.(١)

وتجدر الاشارة هِنا، ان نزول الآية المذكورة في أبـي طـالب عليه السلام لا يمتلك رصيداً من الواقع وذلك لعدة اعتبارات علمية وقانونية، نذكر منها:

١ ـ عدم انطباق الشروط العلمية على سند الرواية وذلك لعدة وجوه:

أ ـ ان الرواية مجهولة السند بين حبيب بن أبي ثابت وابن عباس، كما رأينا، وهي بهذا لا تفيد علماً ولا عـملاً، كـما اتـفق عـلىٰ ذلك عـلماء المسلمين وأئمتهم عبر العصور.

ب ـ ان حبيب بن أبي ثابت انفرد في هذه الرواية دون غيره وعُرف عن العلماء انّهم لا يركنون إلىٰ الاعتماد علىٰ نمط من هذه الروايات.

ج ـ ان حبيباً الراوي قد شهد أهل العلم بعدم جواز الاعتماد عليه، لأنّه كان مدَلِّساً ـ كما هو قول حبّان ـ والعقيلي يقول عنه: غمزه ابن عون، وله عن عطاء أحاديث لا يتابع عليها، وقال ابن خزيمة: كان مدلساً.(٢)

د ـ ان وجود سفيان الثوري في سند الرواية دليل آخر علىٰ تهافتها،

---

١ - تفسير القرطبي ٦:٤٠٦، نقلناه عن الغدير ج٨ ص ٣ـ٤.
٢ - تهذيب التهذيب ٢:١٧٩.

فقد وصفه العلماء بالتدليس وانّه يكتب عن الكذابين.[١]

٢ـ ان ما ثبت عن عبدالله بن العباس «رض» حول سبب نزول هذه الآية بعدة طرق يناقض ما زعمه سفيان الثوري وحبيب في الرواية التي ذكرناها ـ سابقا ـ.

فقد روى الطبري في تفسيره، وابن المنذر، وابن ابي حاتم، وابن مردويه من طريقي علي بن أبي، وطلحة، وطريق العوفي: ان الآية نزلت في المشركين الذين كانوا ينهون عن رسول الله ﷺ ان يؤمنوا به، وينأون عنه يتباعدون عنه.[٢]

وقد أخرج ذلك الطبري وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وعبد بن حميد من طريق وكيع عن سالم عن أبي الحنفية، وعن الحسين بن الفرج عن أبي معاذ، ومن طريق بشر عن قتادة ..

وأخرج عبدالرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن قتادة، والسدي، والضحاك، ومن طريق أبي نجيح عن مجاهد، ومن يونس عن ابن زيد قالوا: ينهون عن القرآن، وعن النبي ﷺ، وينأون عنه، يتباعدون عنه.[٣]

والمراد أساساً، ان الآية تتحدث عن قطاع الكفّار الذين كانوا ينهون عن إتّباع رسول الله ﷺ والقرآن الكريم، وينأون عنه بالعداوة والصدود فأين هذا عن موقف أبي طالب عمّ النبي ﷺ وحاميه وناصره، والذاب

١- ميزان الاعتدال ١:٣٩٦.

٢- تفسير الطبري ٧:١٠٩، والدر المنثور للسيوطي ٣:٨.

٣- نفس المصدر وتفسير الآلوسي ٧:١٢٦.

عنه كل أذية وسوء ومكروه؟

هذا، ومما تجدر الاشارة اليه، ان سورة الانعام نزلت جملة واحدة بعد سورة القصص بخمس سور ـ كما في اتقان السيوطي ـ وكان أبو طالب عند نزول سورة الانعام الّتي تحمل الآية المذكورة، قد رحل إلىٰ ربّه الأعلىٰ قبل ذلك بعدة سنين فوفاه ربّه حسابه.[١]

٣ ـ سياق الآيات قبلها وبعدها يعطي انطباعاً واضحاً، ان المقصود غير أبي طالب عليه‌السلام، قال تعالى (ومنهم من يستمع اليك وجعلنا علىٰ قلوبهم اكنة ان يفقهوه، وفي آذانهم وقراً، وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتّى، اذا جاؤوك يجادلونك، يقول الذين كفروا ان هذا الّا أساطير الأوّلين، وهم ينهون عنه وينأون عنه، وان يهلكون الّا أنفسهم، وما يشعرون).[٢]

فالآيات صريحة، ان المراد بها كفّار قريش أو قطاع منهم جاؤوا للنبي صلى‌الله‌عليه‌وآله فجادلوه، واتّهموه، ووصفوا القرآن بالأساطير، ومنعوا عن اتّباعه، فأين مدلول هذه الآيات من مواقف أبي طالب عليه‌السلام الّذي أمر العباس وحمزة وجعفراً باتباع النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله، ودعا قريشاً وبني هاشم للتمسك بالنبوة وهو الّذي رأينا نماذج من أدبه الرسالي الفذ الّذي جاء فيه:

ألم تعلموا انّا وجدنا محمداً
رسولاً كموسى خط في أوّل الكتب

---

١ – الغدير ٨: ٥ـ٦.

٢ – الانعام ٢٥ـ٢٦.

هذا، وقد تنّبه علماء التفسير إلىٰ تفاهة من يتصور ان الآية نزلت في أبي طالب عليه السلام، فأشاروا إلىٰ انها مختصة بالمشركين المكذبين الذين ينأون عن الحق، ويحولون بين الناس ورسول الله صلى الله عليه وآله.(١)

هذا، ومن الجدير ذكره، انّ مجموعة اخرى من الآيات فسّرت في أبي طالب عليه السلام ظلماً وعدواناً مع انها نزلت في جماعة المشركين أمثال قوله تعالى: ﴿ما كان للنبي والّذين آمَنوا ان يستغفروا للمشركين، ولو كانوا أولي قربىٰ من بعد ما تبين لهم انّهم أصحاب الجحيم﴾.(٢)

وقوله تعالىٰ ﴿انّك لا تهدي من أحببت، ولكن الله يهدي من يشاء، وهو أعلم بالمهتدين﴾.(٣)

وهذه الآيات وغيرها انّما فسّرها وعّاظ البلاط الاموي في أبي طالب عليه السلام ارضاء لحكام بني أُمّية، ووضعوا الاحاديث بحثاً عن المال والجاه من أمثال أبي هريرة والمغيرة بن شعبة، وعروة، وسعيد بن المسيب، والزهري، وغيرهم ممّن فسّروا حتّىٰ آيات نزلت في المدينة المنورة بعد وفاة أبي طالب بعدد من السنين في أبي طالب عليه السلام.(٤)

١- مثل الطبري في تفسيره ١٠٩:٧، والرازي ٤ : ٢٨، وابن كثير ١٢٧:٢، والزمخشري ٤٤٨:١ وغيرهم.

٢- التوبة ١١٣.

٣- القصص ٥٦.

٤- ومن شاء المزيد، فليراجع الغدير ج٨ وأبو طالب مؤمن قريش / عبدالله الخنيزي، والحجة على الذاهب إلىٰ تكفير أبي طالب / الامام شمس الدين بن معد الموسوي ت ٦٣٠ هـ.

لماذا كتم أبو طالب عبادته؟

حفظ تاريخ الرسالة الاسلامية المطهرة الكثير من مواقف الصمود والدفاع عن الدعوة الآلهية والرسول الخاتم ﷺ الّتي وقفها أبو طالب عليه السلام، في أشد ايام الرسالة قسوة، وفي أكثر ساعاتها حراجة ـ كما أشرنا ـ يظهر ذلك جلياً من سيرته العملية مع النبي ﷺ، ومن كلماته الباسلة، وشعره المقاوم الجريء ..

بيد ان تاريخ الرسالة المطهّرة لم يسجل حادثة واحدة حول اقامة أبي طالب عليه السلام للصلاة اليومية الّتي كانت قد شرعت في مكة المكرمة دون غيرها من الفرائض، رغم انّ كثيراً من كلمات الرجل كانت تقطر ايماناً واعتقاداً بالله واليوم الآخر والحساب والنبي ﷺ ..

لقد حدّثنا التاريخ عن صلاة علي بن أبي طالب عليه السلام وخديجة بنت خويلد عليها السلام وجعفر بن أبي طالب عليه السلام، وحمزة بن عبدالمطّلب عليه السلام مع رسول الله ﷺ في بداية الدعوة، لكن التاريخ لم يذكر مصداقاً واحداً عن هذا الموضوع يختصّ بأبي طالب عليه السلام فلماذا كتم أبو طالب صلاته، بل واسلامه بشكل عملي؟

ان المتابع لمسيرة النبوة والدعوة الالهية الخاتمة، في تلك المرحلة المبكرة، يلاحظ انّ الدعوة المباركة كانت بحاجة إلىٰ عدة مقومات:

١ـ الثقافة التي يمثلها القرآن الكريم بآياته النازلة، كما تمثل مقومها الآخر كلمات رسول الله ﷺ وأحاديثه.

٢ـ اللسان الناطق بها، المعبر عنها، المرغب فيها، وكان رسول الله ﷺ

ووسائله التعبيرية هو ذلك اللسان الناطق.

٣ـ الدعم المالي، وكانت ثروة خديجة عليها السلام اهم روافد ذلك الرصيد.

٤ـ الدعم الاجتماعي، وقد مثّله ابو طالب عليه السلام بماله من زعامة وامتداد وتأثير اجتماعي هائل.

٥ـ وهناك مقومات اخرى بعضها معنوي، وبعضها مادي.

لقد انبثقت الدعوة الالهية التي صدع بها محمد رسول الله صلى الله عليه وآله في مكة المكرمة، قلب الجزيرة العربية، وكانت الحالة القبلية والولاء للعشيرة ونظامها هي التي تحكم الجزيرة كلها.

وكانت الكيانات القبلية ذات بعد سياسي واجتماعي في آن واحد في الجزيرة العربية التي ضاقت بها فكرة القومية يومذاك وعجزت عن اقامة كيان سياسي موحّد، الاّ ان التحالف بين القبائل العربية، وقوة بعض الزعماء وفّرت حالة من التوازن بين الوحدات الاجتماعية يومذاك ..

في هذا الوضع الاجتماعي بزغت شمس الدعوة المحمّدية، وليس من باب الصدفة ان تجد الدعوة «شخصية اجتماعية واسعة النفوذ في مكة وما حولها مثل أبي طالب عليه السلام كما ليس من باب الصدفة ان تجد عمقاً عشائرياً داعماً لها يتمثل بعشيرة الداعية الاول للحق محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، تلك هي عشيرة بني هاشم.

ولولا هذا البعد الاجتماعي العميق لما كان بوسع «الدعوة» ان تعلن حقيقة مبادئها ومفاهيمها فضلاً عن ان تعلن مقاومتها للذهنية الوثنية الحاكمة في البلاد، ولكانت في أحسن أوضاعها تشبه تحركات الرهبان

والاحناف التي تبقى حبيسة في أطار محدود من الناس.

وحين صدع المصطفى ﷺ بدعوته كان أبو طالب عليه السلام «سيد قريش غير مدافع، ورئيسها غير منازع، وكانوا له ينقادون، ولأمره يطيعون»[١] وكان لأبي طالب عليه السلام حلفاء وانصار اضافة لعشيرته الأقربين من بني هاشم.

ومن هنا فان رسول الله ﷺ وبتخطيط منه دقيق رأى ان من الحكمة ان يحتفظ أبو طالب عليه السلام بهذه المكانة الاجتماعية، ويسخّرها في الدفاع عن الدعوة والداعية ﷺ وليس بمقدور أبي طالب عليه السلام ان يوظف مكانته الاجتماعية العظيمة للدعوة، اذا اعلن اسلامه وجهر بايمانه بالرسول والرسالة، وانحاز علانية إلى الدعوة فانّه في تلك الحالة سيكون في تأثيره الاجتماعي بمستوىٰ تأثير حمزة أو جعفر أو يزيد قليلاً في مهمة دعم الرسالة، كما ليس بمقدور «الدعوة الآلهية» المباركة ان تستثمر تلك المكانة الاجتماعية العظيمة، اذا هو جاهر بانتمائه للرسالة، لأنّه في تلك الحالة ينابذ قريشاً كلّها ومكة وما حولها فيكونون عليه يداً واحدة، مما يلغي تأثيره الكبير!

ومن أجل ذلك، فانه كان يراعيهم، ويتظاهر لهم بالمرونة، فكان يخالط قريشاً، ويعاشرها، ويشهد مشاهدها، ومناسباتها حفظاً علىٰ سيادته ومكانته فيهم، حتّىٰ يكون بمقدوره ان ينصر الرسول ﷺ من هذا الموقع ويأخذ بحقّه، ويوقف من يريد به السوء عند حدّه، حتّىٰ نجح في ذلك

١- الحجة على الذاهب إلىٰ تكفير أبي طالب، الفصل العاشر ص ٣٤٠.

نجاحاً باهراً منقطع النظير، وهو مع ذلك يشوب علاقاته مع قريش، ومواقفه منها ومعها باظهار تصديقه بالنبي ﷺ ورسالته وضرورة تصديقه والإيمان به من قبل الناس بالطريقة التي يراها ممكنة، وغير مثيرة للخصم، وما ظهر من صور الإيمان بالدعوة، والرسول ﷺ وغيرها في أدبه ومواقفه كانت في هذا الإطار ..

وهكذا نجحت مهمة أبي طالب عليه السلام في دعم مسيرة الرسالة، وحمايتها، وصدّ أعدائها، ولولا هذه الطريقة الّتي تبناها أبو طالب لرفد مسيرة النبوة، لما استثمرت الدعوة الآلهية هذه الطاقة العظيمة بشكل مناسب ..

ولعظمة المهمة التي اضطلع بها أبو طالب عليه السلام، وأهمية دوره المبارك، فان الله عزّ وجلّ أوحى لرسوله ﷺ بعد وفاة أبي طالب عليه السلام، وأنبأه بواسطة جبريل عليه السلام أنه: «قد مات ناصرك، فاخرج» وأمره بالهجرة من مكة إلى المدينة ..

ومن أجل ذلك، فانّه من السذاجة واللؤم أن يسيء أحد الظن بأبي طالب عليه السلام بحجة أو بسبب سلوك اقتضته الحكمة بينما نجد ـ رغُم اساءة التاريخ وظلمه لأبي طالب ـ ان مصاديق إيمان أبي طالب عليه السلام برسالة محمد ﷺ ودعوته، ممّا لا يمكن تجاهلها، اضافة إلىٰ مواقف رسول الله ﷺ منه:

منها: تغسيله، وتجهيزه، ودفنه.

ومنها: ترحّمه عليه، والإستغفار له، رغم ان الاسلام الحنيف لا يبيح

الاستغفار للمشرك من قبل المؤمن، مهما كانت علاقته النسبية به.

ومنها: ابقاء رسول الله ﷺ لفاطمة بنت أسد عليها السلام في عصمة أبي طالب عليه السلام حتّىٰ وفاته، رغم ان الإسلام فسخ عقود النكاح بين المسلمات والمشركين.

فلا ندري أحين يتهم أبو طالب بالشرك والكفر من قبل بعض الجهلة بحقائق الامور، ألا يعني ذلك اتّهاماً لرسول الله ﷺ واساءة له يا ترىٰ؟!

كلمات الصادقين (عليهم السلام)
في تكريم أبي طالب (عليه السلام)

١ ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: هبط عليَّ جبرئيل فقال لي: يا محمد انّ الله عزّ وجلّ مشفّعك في ستة: بطن حملتك آمنة بنت وهب، وصلب أنزلك عبدالله بن عبدالمطلب، وحجر كفلك أبو طالب، وبيت آواك عبدالمطلب، وأخ كان لك في الجاهلية، وثدي أرضعك حليمة بنت أبي ذؤيب.(١)

٢ ـ عن العباس بن عبدالمطلب «رضي الله عنه» انّه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: ما ترجو لأبي طالب؟ فقال: كلّ الخير أرجو من ربّي عزّ وجلّ.(٢)

٣ ـ عن الإمام السبط الحسن بن علي عن والده أمير المؤمنين: انّه كان جالساً في الرحبة والناس حوله فقام إليه رجل فقال له: يا أمير المؤمنين! انّك بالمكان الّذي أنزلك الله وأبوك معذب في النار فقال له: مه فضّ الله فاك، والّذي بعث محمداً بالحق نبياً لو شفع أبي في كل مذنب علىٰ وجه الأرض لشفعه الله، أأبي معذّب في النار وابنه قسيم الجنة والنار؟ والّذي بعث محمداً بالحق ان نور أبي طالب يوم القيامة ليطفئ أنوار الخلائق الاّ خمسة أنوار: نور محمّد ونور فاطمة ونور الحسن والحسين ونور ولده

---

١ – الغدير للشيخ الاميني ج٧ ص٣٦٨، ورواه السيد فخار بن معد في كتاب الحجة ص ٨ باسناده.

٢ – نفس المصدر ج٧ ص٣٨٦، كتاب الحجة ص ١٥، الدرجات الرفيعة.

من الأئمّة، الاّ ان نوره مـن نورنا خلقه الله من قبل خلق آدم بألفي عام.(١)

٤ ـ عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال: قال علي عليه السلام ان أبي حـين حضره الموت شهده رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبرني عنه بشيء خـير لي مـن الدنيا وما فيها.(٢)

٥ ـ عن الإمام السجاد زين العابدين علي بن الحسين بن علي عليهما السلام، انّه سئل عن أبي طالب أكان مؤمناً؟ فقال عليه السلام: نعم. فقيل له: ان هاهنا قوماً يزعمون انّه كافر. فقال عليه السلام: واعجباً كل العجب أيطعنون علي أبي طالب أو علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله؟ وقد نهاه الله تعالى ان يقرّ مؤمنة مع كافر في غير آية من القرآن ولا يشك أحد انّ فاطمة بنت أسد «رضي الله عـنها» مـن المؤمنات السابقات، فانّها لم تزل تحت أبي طالب حتّىٰ مات أبو طالب «رضي الله عنه».(٣)

٦ ـ عن أبي بصير عن الامام محمد بن على الباقر عليه السلام، انه قال: مات أبو طالب بن عبدالمطلب مسلماً مؤمناً، وشعره في ديوانـه يـدل عـلىٰ ايمانه، ثمّ محبته وتربيته ونصرته، ومعاداة أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله، وموالاة

١ـ نفس المصدر ج٧ص٣٨٧، جاء في: المناقب المائة للشيخ أبي الحسن ابن شاذان، كنز الفـوائـد للكراجكي ص ٨٠، أمالي الشيخ ص١٩٢، احتجاج الطبرسي كما في البـحار، تـفسير أبـي الفـتوح ٢١١:٤، الحجة ص١٥، الدرجات الرفيعة، بـحار الأنـوار ١٥:٩، ضـياء العـالمين، تـفسير البـرهان ٧٩٤:٣.

٢ـ نفس المصدر، رواه باسناده السيد فخار بن معد في كتاب الحجة ص٢٣، وذكـره الفـتوني فـي ضياء العالمين.

٣ـ نفس المصدر ج ٧ ص ٣٨٩، راجع ما مرّ ص ٣٨٠، وكتاب الحجة ص٢٤، والدرجات الرفـيعة، ضياء العالمين ..

أوليائه، وتصديقه اياه فيما جاء به من ربّه وأمره لولديه علي وجعفر[١] بأن يسلما ويؤمنا بما يدعو اليه، وأنّه خير الخلق، وانه يدعو إلى الحق والمنهاج المستقيم، وانّه رسول الله ربّ العالمين[٢] فثبت ذلك في قلوبهما، فحين دعاهما رسول الله صلى الله عليه وآله أجاباه في الحال وما تلبثا لما قد قرره أبوهما عندهما من أمره، فكانا يتأملان أفعال رسول الله صلى الله عليه وآله فيجدانها كلّها حسنة تدعو[٣] الى سداد ورشاد».[٤]

٧ ـ عن يونس بن نباتة عن الإمام الصادق عليه السلام قال: يا يونس! ما يقول الناس في أبي طالب؟ قلت: جعلت فداك يقولون: هو في ضحضاح من نار يغلي منها أُم رأسه، فقال: كذب أعداء الله، انّ أبا طالب من رفقاء النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن اؤلئك رفيقاً.[٥]

١- جعفر بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم، أبو عبدالله، ابن عمّ النبي صلى الله عليه وآله وشقيق الإمام علي عليه السلام من السابقين إلىٰ الاسلام، تشير المصادر إلىٰ انه صلّى مع النبي صلى الله عليه وآله بعد أخيه علي عليه السلام، وقال النبي صلى الله عليه وآله له: «اشبهت خلقي وخلقي». وفي البخاري عن أبي هريرة قال: «كان جعفر خير الناس للمساكين» هاجر إلى الحبشة فأسلم النجاشي ومن تبعه علىٰ يده، وأقام عنده ثمّ هاجر منها الى المدينة فقدم والنبي صلى الله عليه وآله بخيبر .. يراجع إيمان أبي طالب / السيد محمد بحر العلوم ص١٤١، عن: (الاصابة: ت: ١١٦٦، وصفة الصفوة: ١/٢٠٥، وطبقات ابن سعد: ٤:٢٢، وحلية الأولياء ١:١١٤، ومعجم البلدان: مادة مؤتة).

٢- أخرج الحافظ ابن حجر في (الاصابة ج٤ ص١١٦) عن علىٰ عليه السلام انّه لمّا أسلم قال له أبو طالب: الزم ابن عمّك، وأخرج ايضا عن عمران بن حصين ان أبا طالب قال لجعفر ابنه لمّا أسلم، «صل جناح ابن عمّك» فصلّى جعفر مع النبي صلى الله عليه وآله ، انظر: العلامة الدحلاني في (أسنى المطالب: ص٧).

٣- في ص وح: «يدعو».

٤ـ إيمان أبي طالب / السيد محمد بحر العلوم ص ١٤٠ بأسانيده.

٥- الغدير للعلامة الأميني ج٧ ص٣٩٣، عن: كنز الفوائد لشيخنا الكراجكي ص ٨٠، كتاب الحجة ص١٧.

٨ ـ عن درست بن أبي منصور انّه سأل أبا الحسن الأول ـ الإمام الكاظم ـ عليه السلام: أكان رسول الله صلى الله عليه وآله محجوجاً بأبي طالب؟ فقال: لا، ولكنه كان مستودعاً للوصايا فدفعها اليه، فقال: قلت: فدفع إليه الوصايا علىٰ انّه محجوج به؟ فقال: لو كان محجوجاً به ما دفع إليه الوصية قال: قلت: فما كان حال أبي طالب؟ قال: أقرّ بالنبي وبما جاء به ودفع إليه الوصايا ومات من يومه.(١)

٩ ـ أخرج أبو جعفر الصدوق رحمه الله بأسناده عن سعيد بن جبير عن عبدالله بن عبّاس انّه سأله رجل فقال له: يا بن عمّ رسول الله! أخبرني عن أبي طالب هل كان مسلماً؟ قال: وكيف لم يكن مسلماً وهو القائل:

وقد علموا ان ابننا لا مكذبٌ
لدينا ولا يعبأ بقيلِ الأباطيلِ

ان أبا طالب كان مثله كمثل أصحاب الكهف حين أسرّوا الإيمان وأظهروا الشرك فآتاهم الله أجرهم مرّتين.(٢)

---

١ - نفس المصدر، ص٣٩٤، قال الأميني: هذه مرتبة فوق مرتبة الإيمان فانّها مشفوعة بما سبق عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام تثبت لأبي طالب مرتبة الوصاية والحجية في وقته فضلاً عن بسيط الإيمان، وقد بلغ ذلك من الثبوت إلىٰ حد ظن السائل ان النبي صلى الله عليه وآله كان محجوجاً به قبل بعثته، فنفى الإمام عليه السلام ذلك، وأثبت له من الوصاية وانّه كان خاضعاً للابراهيمية الحنيفية، ثمّ رضخ للمحمدية البيضاء، فسلم الوصايا للصادع بها، وقد سبق إيمانه بالولاية العلوية الناهض بها ولده البار «صلوات الله وسلامه عليه».

٢ - أمالي الصدوق، ص٣٩٦، ورواه السيد ابن معد في (الحجة) ص٩٤، ١١٥، وذكره غير واحد من ائمة الحديث.

ينابيع الحكمة علىٰ لسان أبي طالب عليه السلام

حدث الإمام شمس الدين أبو علي فخار بن معد الموسوي المتوفى ٦٣٠ هـ، بأسانيده: عن المهاجر مولى بني نوفل اليماني يقول: سمعت أبا رافع القبطي مولى النبي صلى الله عليه وآله يقول: سمعت أبا طالب بن عبدالمطلب يقول: حدّثني محمّد صلى الله عليه وآله انّ ربّه بعثه بصلة الرحم، وأن يعبد الله وحده، ولا يعبد معه غيره ومحمّد عندي الصادق الأمين.(١)

وبأسناد آخر عن أبي رافع قال: سمعت أبا طالب يقول: حدّثني محمد صلى الله عليه وآله انّ الله أمره بصلة الأرحام، وأن يعبد الله وحده ولا يعبد معه غيره ومحمد عندي الصدوق الأمين. (٢)

١- ذكر هذا الحديث ابن حجر العسقلاني الشافعي في الاصابة: ج٤ ص١١٦، طبع مصر سنة ١٣٢٨، وأورده أيضا الدحلاني في أسنى المطالب ص٦ طبع مصر سنة ١٣٠٥، وذكر انّه أخرجه الخطيب بسنده إلىٰ أبي رافع مولى ام هانئ بنت أبي طالب عليه السلام عن: إيمان أبي طالب / السيد محمد بحر العلوم ص١٣٣.

٢- ذكر الحديث ابن حجر في الاصابة: ٤١١٦/، وزيني دحلان في أسنى المطالب: ٦، وروى الأميني في الغدير: ٧ : ٣٦٨ عن الشيخ ابراهيم الحنبلي في نهاية الطلب عن عروة الثقفي قال: سمعت أبا طالب ـ رضي الله عنه ـ يقول: حدّثني ابن أخي الصادق الأمين ـ وكان والله صدوقاً ـ ان ربّه ارسله بصلة الأرحام، وإقام الصلاة، وايتاء الزكاة، وكان يقول: اشكر ترزق، ولا تكفر تعذب. نفس المصدر، ص١٣٥.

الفهرس

الاهداء ٧

مدخل ٨

سيد البطحاء نموذج آخر لطهر الأجداد ١٣

إلى زمزم من جديد ١٧

الله يحكم لشيخ البطحاء ٢٣

عبدالمطلب وأصحاب الفيل ٢٧

وريث الأمجاد ٣٥

مع النبي (ص) قبل بعثته ٤٥

اقتران الرسول (ص) بخديجة ٥١

الأذن بالدعوة وموقع أبي طالب ٥٧

صحيفة المقاطعة وحصار الشعب ٦٩

عام الحزن ٧٥

شعر أبي طالب سجل الايمان المفتوح ٧٩

لماذا اتهم أبو طالب؟! ٩٥

لماذا كتم أبو طالب عبادته؟ ١١١

كلمات الصادقين في تكريم أبي طالب (ع) ١١٩